

من كليات رسائل النور ١٠
رسالة
الحشر
تأليف
بديع الزمان
سعيد النورسي
ترجمة
إحسان قاسم الصالحي
سوزلر للنشر
SÖZLER

- رقم الإيداع :٩٩/١٥٠١٩
- الترقيم الدولى : 977/5323-24-X
- الطبعة الثالثة

- الناشر: شركة سوزلر للنشر
- ١٠ ش يوسف عباس مدينة التوفيق مدينة نصر – القاهرة

٠٠(٢٠٢)٢٦٣٦٦٨٤

10 St. Yousef Abbas Tawfik city

Nasr city Cairo – Egypt

Tel 00(202)2636684

من كليات رسائل النور

الكلمة العاشرة من كتاب «الكلمات»



بديع الزمان
سعيد النورسى

ترجمة
إحسان قاسم الصالحي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

الكلمة العاشرة

مبحث الحشر

تنبيه

ان سبب ايرادي التشبيه والتمثيل بصورة حكايات في هذه الرسائل هو تقريب المعاني الى الأذهان من ناحية، واظهار مدى معقولية الحقائق الاسلامية ومدى تناسبها ورصانتها من ناحية اخرى، فمغزى الحكايات انما هو الحقائق التي تنتهي اليها، والتي تدل عليها كنايةً. فهي اذن ليست حكايات خيالية وانما حقائق صادقة.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَانْظُرْ اِلى آثَارِ رَحْمَتِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا اِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ﴾ (الروم: ٥٠)

يا أخي!

إن رمتَ ايضاح أمر الحشر وبعضَ شؤون الآخرة على وجهٍ يُلائم فهمَ عامة الناس، فاستمع معي الى هذه الحكاية القصيرة.

ذهب اثنان معاً الى مملكة رائعة الجمال كالجنة (التشبيه هنا للدنيا) واذا بهما يَريان ان أهلها قد تركوا ابواب بيوتهم وحوانيتهم ومحلاتهم مفتوحة لا يهتمون بحراستها.. فالاموال والنقود في متناول الايدي دون ان يحميها أحد. بدأ أحدهما - بما سوّلت له نفسه - يسرق حيناً ويغصب حيناً آخر مرتكباً كل انواع الظلم والسفاهة، والاهلون لا يبالون به كثيراً.

فقال له صديقه:

- ويحك ماذا تفعل؟ انك ستنال عقابك، وستلقيني في بلايا ومصائب. فهذه الاموال أموال الدولة، وهؤلاء الأهلون قد اصبحوا

ـ بعوائلهـم واطفالهـم ـ جنود الدولة أو موظـفيهـا، ويُستخـدمون في هذه الوظائف ببـزّتهم المدنيـة، ولذلك لـم يُبالوا بك كـثيـراً. إعلم أن النظام هنا صـارم، فعـيون السلطان ورقـباؤه وهواتفـه في كل مكان. أسرع يا صاحبي بالاعتـذار وبادر الى التوسل». ولكن صاحبه الأبله عاند قائلاً:

ـ «دعني يا صاحبي، فهذه الاموال ليست أموال الدولة، بل هي أموال مشاعة، لا مالك لها. يستطيع كل واحد ان يتصرف فيها كما يشاء. فـلا أرى مـا يمنعني من الاسـتـفادة منـها، أو الانتـفـاع بهـذه الاشـيـاء الجـميلة المنشـورة امـامي. واعلم اني لا اصـدّق بما لا تراه عيناي»... وبدأ يتفلسف ويتفوه بما هو من قبيل السفسطة[1]. وهنا بدأت المناقشة الجادّة بينهما. وأخذ الحوار يشتد اذ سأل المغفل:

ـ «وما السلطان؟ فانا لا اعرفه». فردّ عليه صاحبه:

ـ «انك بلاشك تعلم انه لا قـرية بلا مخـتار، ولا إبرة، بلا صـانع وبلا مالك، ولا حـرف بلا كاتب. فكيـف يسوغ لك القـول: انه لا حـاكم ولا سلطان لهـذه المملكة الرائعـة المنتظـمة المنسقـة؟ وكـيف تكون هذه الأموال الطائلة والثروات النفيسـة الثمينة بلا مالك، حتى كأن قطاراً مشحوناً بالارزاق الثمينة يأتي من الغيب كل ساعة ويفرغ

هنـا ثم يذهـب(١)! أوَ لا ترى في أرجـــاء هذه المملكـة اعــلانات السلطان وبياناته، واعلامَه التي ترفرف في كل ركن، وختمه الخاص وسكّته وطرّته على الامـوال كلهـا، فكيف تكون مثل هذه المملكة دون مالـك؟.. يبدو انك تعلمت شيئـاً من لغة الافـرنج، ولكنك لا تستطيع قـراءة هذه الـكتـابات الاسـلامـيـة ولا ترغـب ان تسـأل من يقرأها ويفـهمهـا، فتعـال اذن لأقرأ لك أهم تلك البلاغـات والاوامر الصادرة من السلطان».. فقاطعه ذلك المعاند قائلاً:

- «لنسلّم بوجود السلطان، ولكن.. ماذا يمكن ان تضره وتنقص من خزائنه ما أحوزه لنفسي منها؟ ثم اني لا أرى هنا عقاباً من سجن أو ما يشبهه!»

أجابه صاحبه:

- «يا هذا، ان هذه المملكة التي نراها مـا هي الاّ ميدان امتـحان واختبـار، وسـاحـة تدريب ومناورة، وهي مـعرض صـنائع السلطان البديعة، ومضيف مـؤقت جداً.. ألا ترى ان قافلة تأتي يومياً وترحـل أخرى وتغيب؟ فهذا هو شأن هذه المملكة العـامرة، انها تملأ وتـخلى

---

(١) اشارة الى فصول السنة حيث الربيع يشبه شاحنة قطار مملوءة بالأغذية ويأتي من عالم الغيب. – المؤلف.

باستمرار، وسوف تفرغ نهائياً وتبدل بأخرى باقية دائمة، وينقل اليها الناس جميعاً فيثاب أو يُعاقب كلٌّ حسب عمله».

ومرة اخرى تمرّد صديقه الخائن الحائر قائلاً:

ـ «أنا لا أؤمن ولا اصدق! فهل يمكن ان تُباد هذه المملكة العامرة، ويرحل عنها أهلُها الى مملكة اخرى؟» وعندها قال له صديقه الناصح الامين:

ـ «يا صاحبي ما دمتَ تعاند هكذا وتصرّ، فتعال أبين لك دلائل لا تعد ولا تحصى مجملةً في «اثنتي عشرة صورة» تؤكد لك ان هناك محكمة كبرى حقاً، وداراً للثواب والاحسان، واخرى للعقاب والسجن، وانه كما تفرغ هذه المملكة من أهلها يوماً بعد يوم، فسيأتي يوم تفرغ فيه منهم نهائياً وتباد كلياً».

❑ الصورة الأولى

أمن الممكن لسلطنةٍ ـ ولاسيما كهذه السلطنة العظمى ـ أن لا يكون فيها ثوابٌ للمطيعين ولا عقاب للعاصين؟.. ولما كان العقاب والثواب في حكم المعدوم في هذه الدار..

فلابد اذن من محكمةٍ كبرى في دارٍ اخرى.

❑ الصورة الثانية

تأمل سير الاحداث والاجراءات في هذه المملكة، كيف يوزَّع الرزقُ رغداً حتى على أضعف كائن فيها وأفقره، وكيف ان الرعاية تامة والمواساة دائمة لجميع المرضى الذين لا معيل لهم. وانظر الى الاطعمة الفاخرة والاواني الجميلة والأوسمة المرصعة والملابس المزركشة.. فالموائد العامرة مبثوثة في كل مكان.. وانظر! الجميع يتقنون واجباتهم ووظائفهم الا أنت وأمثالك من البلهاء، فلا يتجاوز أحد حدّه قيد أنملة، فأعظم شخص يؤدي ما أنيط به من واجب بكل تواضع، وفي غاية الطاعة، تحت ظل جلال الهيبة والرهبة. اذن فمالكُ هذه السلطنة ومليكها ذو كرم عظيم، وذو رحمة واسعة، وذو عزة شامخة، وذو غيرة جليلة ظاهرة، وذو شرف سامٍ. ومن المعلوم ان الكرم يستوجب انعاماً، والرحمة لا تحصل دون احسان، والعزة تقتضي الغيرة، والشرف السامي يستدعي تأديب المستخفين، بينما لا يتحقق في هذه المملكة جزء واحد من ألفٍ مما يليق بتلك الرحمة ولا بذلك الشرف. فيرحل الظالم في عزته وجبروته ويرحل المظلوم في ذله وخنوعه.

فالقضية اذن مؤجلة الى محكمة كبرى.

❑ الصورة الثالثة

انظر، كيف تُنجز الاعمال هنا بحكمة فائقة وبانتظام بديع، وتأمل كيف يُنظر الى المعاملات بمنظار عدالة حقة وميزانٍ صائب. ومن المعلوم ان حكمة الحكومة وفطنتها هي اللطف بالذين يحتمون بحماها وتكريمهم. والعدالة المحضة تتطلب رعاية حقوق الرعية، لتصان هيبة الحكومة وعظمة الدولة.. غير انه لا يبدو هنا الا جزءٌ ضئيلٌ من تنفيذ ما يليق بتلك الحكمة، وبتلك العدالة. فأمثالك من الغافلين سيغادرون هذه المملكة دون أن يرى اغلبهم عقاباً.

فالقضية اذن مؤجلة بلا ريب الى محكمة كبرى.

❑ الصورة الرابعة

انظر الى ما لا يعد ولا يحصى من الجواهر النادرة المعروضة في هذه المعارض، والاطعمة الفريدة اللذيذة المزيّنة بها الموائد، مما يُبرز لنا أن لسلطان هذه المملكة سخاءً غير محدود، وخزائن ملأى لا تنضب.. ولكن مثل هذا السخاء الدائم، ومثل هذه الخزائن التي لا تنفد، يتطلبان حتماً دار ضيافة خالدة أبدية، فيها ما تشتهيه الانفس. ويقتضيان كذلك خلود المتنعمين المتلذذين فيها، من غير ان يذوقوا ألم الفراق والزوال؛ اذ كما ان زوال الألم لذة فزوال اللذة ألم كذلك.. وانظر الى هذه المعارض، ودقق النظر في تلك الاعلانات،

واصغ جيداً الى هؤلاء المنادين الدعاة الذين يصفون عجائب مصنوعات السلطان ـ ذي المعجزات ـ ويعلنون عنها، ويظهرون كماله، ويفصحون عن جماله المعنوي الذي لا نظير له، ويذكرون لطائف حسنه المستتر.

فلهذا السلطان اذن كمال باهر، وجمال معنوي زاهر، يبعثان على الاعجاب. ولاشك ان الكمال المستتر الذي لا نقص فيه يقتضي اعلانه على رؤوس الاشهاد من المعجبين المستحسنين، ويتطلب اعلانه امام انظار المقدّرين لقيمته. أما الجمال الخفي الذي لا نظير له، فيستلزم الرؤية والاظهار، أي رؤية جماله بوجهين.

احدهما: رؤيته بذاته جمالَه في كل ما يعكس هذا الجمال من المرايا المختلفة.

ثانيهما: رؤيته بنظر المشاهدين المشتاقين والمعجبين المستحسنين له. وهذا يعني ان الجمال الخالد يستدعي رؤية وظهوراً، مع مشاهدةٍ دائمةٍ، وشهودٍ أبدي.. وهذا يتطلب حتماً خلود المشاهدين المشتاقين المقدّرين لذلك الجمال، لأن الجمال الخالد لا يرضى بالمشتاق الزائل. ولأن المشاهد المحكوم عليه بالزوال يبدل تصور الزوال محبته عداءً، واعجابه استخفافاً، وتوقيره اهانةً، اذ الانسان عدو لما يجهل ولما يقصر عنه.. ولما كان الجميع يغادرون

دور الضيافة هذه بسرعة ويغيبون عنها بلا ارتواء من نور ذلك الجمال والكمال، بل قد لا يرون الا ظلالاً خافتة منه عبر لمحات سريعة..

فالرحلة اذن منطلقة الى مشهد دائم خالد.

❑ الصورة الخامسة

تأمل، كيف ان لهذا السلطان ــ الذي لا نظير له ـ رأفة عظيمة تتجلى في خضم هذه الأحداث والامور، اذ يغيث الملهوف المستغيث، ويستجيب للداعي المستجير، واذا ما رأى أدنى حاجة لأبسط فرد من رعاياه فانه يقضيها بكل رأفة وشفقة، حتى انه يرسل دواءً او يهيئ بيطاراً لإسعاف قدم نعجة من النعاج.

هيا بنا يا صاحبي لنذهب معاً الى تلك الجزيرة، حيث تضم جمعاً غفيراً من الناس. فجميع اشراف المملكة مجتمعون فيها.. انظر فها هو ذا مبعوث كريم للسلطان متقلّد اعظم الأوسمة وأعلاها يرتجل خطبة يطلب فيها من مليكه الرؤوف أموراً، وجميع الذين معه يوافقونه ويصدّقونه ويطلبون ما يطلبه.

أنصت لما يقول حبيب الملك العظيم، انه يدعو بأدبٍ جم تضرّع ويقول:

« يا من اسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، يا سلطاننا، أرنا منابع

واصولَ ما أريتَه لنا من نماذج وظلال.. خذ بنا الى مقر سلطنتك ولا تهلكنا بالضياع في هذه الفلاة.. أقبلنا وارفعنا الى ديوان حضورك.. ارحمنا... اطعمنا هناك لذائذ ما أذقتنا اياه هنا، ولا تعذبنا بألم التنائي والطرد عنك.. فهاهم اولاء رعيتك المشتاقون الشاكرون المطيعون لك، لا تتركهم تائهين ضائعين، ولا تفنِهم بموت لا رجعة بعده»..

أسمعت يا صاحبي ما يقول؟. تُرى أمن الممكن لمن يملك كل هذه القدرة الفائقة، وكل هذه الرأفة الشاملة، ان لا يعطي مبعوثه الكريم ما يرغب به، ولا يستجيب لأسمى الغايات وانبل المقاصد؟ وهو الذي يقضي بكل اهتمامٍ أدنى رغبة لأصغر فرد من رعاياه؟ مع أن ما يطلبه هذا المبعوث الكريم تحقيق لرغبات الجميع ومقاصدهم، وهو من مقتضيات عدالته ورحمته ومرضاته. ثم انه يسير عليه وهيّن، فليس هو بأصعب مما عرضه من نماذج في متنزهات هذه المملكة ومعارضها.. فما دام قد انفق نفقات باهظة وأنشأ هذه المملكة لعرض نماذجه عرضاً مؤقتاً، فلابد أنه سيَعرِض في مقر سلطنته من خزائنه الحقيقية ومن كمالاته وعجائبه ما يبهر العقول. اذن فهؤلاء الذين هم في دارِ الامتحان هذه ليسوا عبثاً، وليسوا سدى، بل تنتظرهم قصورُ السعادة السرمدية الخالدة، او غياهب السجون الابدية الرهيبة.

❑ الصورة السادسة

تعـال، وانظر الى هذه القـاطرات الضخمـة، والى هذه الطائرات المشحـونة، والى هذه المخازن الهـائلة المملوءة، والى هذه المعـارض الانيقـة الجذابة.. وتأمل في الاجراءات وسير الامور.. انها جميعاً تبيّن ان هناك سلطنة عظيمة حقا[١] تحكم من وراء ستار. فمثل هذه

---

(١) فكما ان الجيش الهائل في ميدان المناورات أو مباشرة الحرب، يتحول الى ما يشبه غابة أشواك، بمجرد تسلّمه أمر: «خذوا السلاح، ركّبوا الحراب». وكما يتحول المعسكر برمّته في كل عيد وعرض عسكري الى ما يشبه حديقة جميلة ذات أزهار ملونة بمجرد تسلمه أمر: «احملوا شاراتكم، تقلّدوا أوسمتكم».. كذلك النباتات غير ذات الشعور والتي هي نوع من جنود غير متناهية لله سبحانه ـ كما ان الملائكة والجن والانس والحيوان جنوده ـ فهي عندما تتسلم أمر «كن فيكون» اثناء جهادها لحفظ الحياة وتؤمر بالامر الالهي «خذوا اسلحتكم وعتادكم لأجل الدفاع» تهيء الاشجار والشجيرات المشوكة رميحاتها، فيتحول سطح الارض الى ما يشبه المعسكر الضخم المدجج بالسلاح الابيض فكل يوم من ايام الربيع، وكل اسبوع فيه بمثابة عيد لطائفة من طوائف النباتات، فتظهر كل طائفة منها ما وهبه لها سلطانها من هدايا جميلة، وما أنعم عليها من أوسمة مرصعة، فتعرض نفسها ـ بما يشبه العرض العسكري ـ امام نظر السلطان الازلي واشهاده، كأنها تسمع أمراً ربانياً: «تقلّدوا مرصعات الصنعة الربانية، واوسمة الفطرة الإلهية التي هي الازهار والثمار... وفتّحوا الازهار». عندئذ يعود سطح الارض كأنه معسكر عظيم في يوم عيد بهيج، وفي استعراض هائل رائع تزخر بالأوسمة البراقة والشارات اللماعة.

فهذا الحشد من التجهيز الحكيم وهذا المدى من العتاد المنظّم وهذا القدر من التزيين البديع يري لمن لم يفقد بصره انه أمر سلطان قدير لا منتهى لقدرته، وأمر حاكم حكيم لا نهاية لحكمته. ـ المؤلف

السلطنة تقتضي حتماً رعايا يليقون بها. بينما تشاهد انهم قد اجتمعوا في هذا المضيف ـ مضيف الدنيا ـ والمضيف يودّع يومياً صنوفاً منهم ويستقبل صنوفاً. وهم قد حضروا في ميدان الامتحان والاختبار هذا، غير أن الميدان يُبدّل كل ساعة، وهم يلبثون قليلاً في هذا المعرض العظيم، يتفرجون على نماذج آلاء المليك الثمينة وعجائب صنعته البديعة، غير ان المعرض نفسه يحوّل كل دقيقة، فالراحل لا يرجع والقابل يرحل كذلك.. فهذه الامور تبين بشكل قاطع ان وراء هذا المضيف الفاني، ووراء هذه الميادين المتبدلة، ووراء هذه المعارض المتحولة، قصور دائمة خالدة، ومساكن طيبة ابدية وجنائنُ مملوءة بحقائق هذه النماذج، وخزائن مشحونة باصولها.

فالاعمال والافعال هنا اذن ما هي الا لأجل ما أُعدّ هنالك من جزاء. فالملك القدير يكلف هنا ويجازي هناك، فلكل فردٍ لون من السعادة حسب استعداده وما اقدم عليه من خير.

❑ الصورة السابعة

تعال، لنتنزه قليلاً بين المدنيين من الناس لنلاحظ احوالهم، وما تجري حولهم من امور. انظر، فها قد نُصبَت في كل زاوية آلاتُ

تصوير عديدة تلتقط الصور، وفي كل مكان كتّاب كثيرون يسجلون كل شئ، حتى أهون الامور.

هيا انظر الى ذاك الجبل الشاهق فقد نصبت عليه آلة تصوير ضخمة تخص السلطان نفسه(١) تلتقط صور كل ما يجري في هذه المملكة. فلقد اصدر السلطان أوامره لتسجيل الامور كلها، أو تدوين المعاملات في مملكته. وهذا يعني ان السلطان المعظم هو الذي يملي الحوادث جميعها، ويأمر بتصويرها.. فهذا الاهتمام البالغ، وهذا الحفظ الدقيق للأمور، ووراءه محاسبة بلا شك، اذ هل يمكن لحاكمٍ حفيظ ـ لا يهمل أدنى معاملة لأبسط رعاياه ـ أن لا يحفظ ولا يدوّن الاعمال العظيمة لكبار رعاياه، ولا يحاسبهم ولا

---

(١) لقد وضح قسم من هذه المعاني التي تشير اليها هذه الصورة في «الحقيقة السابعة». فآلة التصوير الكبرى هنا ـ التي تخص السلطان ـ تشير الى اللوح المحفوظ، والى حقيقته وقد اثبتت الكلمة «السادسة والعشرون» اللوح المحفوظ، وتحقق وجوده بما يأتي:

كما ان الهوياتِ الشخصية الصغيرة ترمز الى وجود سجل كبير للهويات، والسندات الصغيرة تشعر بوجود سجل اساس للسندات. ورشحات قطرات صغيرة وغزيرة تدل على وجود منبع عظيم، فان القوى الحافظة في الانسان، واثمار الاشجار، وبذور الثمار كذلك كل منها بمثابة هويات صغيرة، وبمعنى «لوح محفوظ صغير» وبصورة ترشحات نقاط صغيرة ترشحت من القلم الذي كتب اللوح المحفوظ الكبير. فلابد ان كلاً منها تشعر بوجود الحافظة الكبرى، والسجل الاكبر، واللوح المحفوظ الاعظم، بل تثبته وتبرزه الى العقول النافذة. ـ المؤلف .

يجازيهم على ما صنعوا مع انهم يُقدمون على اعمال تمسّ الملك العزيز، وتتعرض لكبريائه، وتأباه رحمته الواسعة؟.. وحيث انهم لا ينالون عقاباً هنا..

فلابد انه مؤجل الى محكمة كبرى.

❑ الصورة الثامنة

تعال، لأتلو عليك هذه الأوامر الصادرة من السلطان. انظر، انه يكرر وعده ووعيده قائلاً: لآتينّ بكم الى مقر سلطنتي، ولأسعدنّ المطيعين منكم، ولأزجنّ العصاة في السجن، ولأدمرنّ ذلك المكان الموقت، ولأنشأن مملكة اخرى فيها قصور خالدة وسجون دائمة.. علماً ان ما قطعه على نفسه من وعد، هين عليه تنفيذه، وهو بالغ الأهمية لرعاياه. أما اخلاف الوعد فهو منافٍ كلياً لعزته وقدرته.

فانظر ايها الغافل: انك تصدق اكاذيب أوهامك، وهذيان عقلك، وخداع نفسك، ولا تصدّق مَن لا يحتاج الى مخالفة الوعد قطعاً، ومَن لا تليق المخالفة بغيرته وعزته اصلاً، ومَن تشهد الامور كافة على صدقه.. انك تستحق العقاب العظيم بلاشك، اذ إن مَثلكَ في هذا مثل المسافر الذي يغمض عينيه عن ضوء الشمس،

ويسترشد بخياله، ويريد ان ينير طريقه المخيف ببصيص عقله الذي لا يضئ الا كضياء اليراعة (ذباب الليل).

وحيث انه قد وعد، فسيفي بوعده حتماً، لأن وفاءه سهل عليه وهين، وهو من مقتضيات سلطنته، وهو ضروري جداً، لنا ولكل شئ.

اذن هناك محكمة كبرى وسعادة عظمى.

☐ الصورة التاسعة

تعال، لننظر الى رؤساء[1] من هذه الدوائر، قسم منهم يمكنهم الاتصال بالسلطان العظيم مباشرة، بهاتف خاص. بل لقد ارتقى قسم آخر وسما الى ديوان قدسه.. تأمل ماذا يقول هؤلاء؟ انهم يخبروننا جميعاً ان السلطان قد أعدّ مكاناً فخماً رائعاً لمكافأة المحسنين وآخر رهيباً لمعاقبة المسيئين. وانه يَعد وعداً قوياً ويُوعِد وعيداً شديداً، وهو أجلّ وأعزّ من أن يذلّ الى خلاف ما وعَد وتوعد. علماً بأن اخبار المخبرين قد وصلت من الكثرة الى حد التواتر

(١) ان المعاني التي تثبتها هذه الاشارة ستظهر في «الحقيقة الثامنة» فمثلاً: أن رؤوساء الدوائر في هذا المثال ترمز الى الانبياء والاولياء. أما الهاتف فهو نسبة ربانية ممتدة من القلب الذي هو مرآة الوحي ومظهر الالهام وبمثابة بداية ذلك الهاتف وسماعته. ـ المؤلف

ومن القوة الى درجة الاتفاق والاجماع فهم يبلغوننا جميعاً: بأن مقر هذه السلطنة العظيمة التي نرى آثارها وملامحها هنا، انما هو في مملكة اخرى بعيدة. وان العمارات في ميدان الامتحان هذا بنايات وقتية، وستبدّل الى قصور دائمة، فتبدل هذه الارض بغيرها. لأن هذه السلطنة الجليلة الخالدة ـ التي تُعرف عظمتُها من آثارها ـ لا يمكن ان تقتصر هيمنتُها على مثل هذه الامور الزائلة التي لا بقاء لها ولا دوام ولا كمال ولا قرار ولا قيمة ولا ثبات. بل تستقر على ما يليق بها وبعظمتها من امور تتّسم بالديمومة والكمال والعظمة.

فاذن هناك دار اخرى.. ولابد ان يكون الرحيل الى ذلك المقر.

❑ الصورة العاشرة

تعال يا صاحبي، فاليوم يوم عيد ملكي عظيم[1].. ستحدث تبدلات وتغيرات وستبرز أمور عجيبة.. فلنذهب معاً للنزهة، في هذا اليوم البهيج من ايام الربيع الى تلك الفلاة المزدانة بالازهار

---

(١) سترى ما ترمز اليه هذه الصورة في «الحقيقة التاسعة». فيوم العيد مثلاً اشارة الى فصل الربيع، أما الفلاة المزدانة بالازهار فاشارة الى سطح الارض في موسم الربيع، أما المناظر والمشاهد المتغيرة في الشاشة، فالمقصود منها انواع ما يخرجه الربيع والصيف من الارزاق الخاصة بالحيوان والانسان التي يقدّرها الصانع القدير ذو الجلال والفاطر الحكيم ذو الجمال، والذي يغيرها بانتظام كامل ويجدّدها برحمة تامة منه سبحانه، ويرسلها في فترات متعاقبة متتالية ابتداء من أول الربيع الى انتهاء الصيف. ـ المؤلف

الجميلة.. انظر! هاهم الناس متوجهون الى هناك.. انظر! هاهنا امر غريب عجيب، فالعمارات كلها تنهار وتتخذ شكلاً آخر! حقاً انه شئ معجز! اذ العمارات التي انهارت قد أعيد بناؤها هنا فوراً، وانقلبت هذه الفلاة الخالية الى مدينة عامرة! انظر.. انها تريك كل ساعة مشهداً جديداً وتتخذ شكلاً غير شكلها السابق ـ كشاشة السينما ـ لاحظ الأمر بدقة لترى روعة هذا النظام المتقن في هذه الشاشة التي تختلط فيها المشاهد بكثرة وتتغير بسرعة فهي مشاهد حقيقية يأخذ كل شئ مكانه الحقيقي في غاية الدقة والانسجام، حتى المشاهد الخيالية لا تبلغ هذا الحد من الانتظام والروعة والاتقان، بل لا يستطيع ملايين الساحرين البارعين من القيام بمثل هذه الاعمال البديعة.. اذن فللسلطان العظيم المستور عنا الشئ الكثير من الامور الخارقة.

فيا أيها المغفل! انك تقول: «كيف يمكن ان تدمّر هذه المملكة العظيمة وتعمّر من جديد في مكان آخر؟».

فها هو ذا أمامك ما لا يقبله عقلك من تقلبات كثيرة وتبدلات مذهلة، فهذه السرعة في الاجتماع والافتراق، وهذا التبدل والتغير، وهذا البناء والهدم.. كلها تنبيء عن مقصد، وتنطوي على غاية، اذ يُصرف لأجل اجتماع في ساعة واحدة ما ينفق لعشر سنوات ! فهذه

الاوضاع اذن ليست مقصودة لذاتها، بل هي أمثلة ونماذج للعرض هنا. فالسلطان يُنهي اعماله على وجه الاعجاز، كي تؤخذ صورها، وتُحفظ نتائجها وتُسجل كما تُسجل وتُحفظ كل ما في ميدان المناورات العسكرية. فالأمور والمعاملات اذن ستجري في الاجتماع الاكبر وتستمر وفق ما كانت هنا. وستعرض تلك الامور عرضاً مستمراً في المشهد الاعظم والمعرض الاكبر. أي ان هذه الاوضاع الزائلة تنتج ثماراً باقية وتولّد صوراً خالدة هناك.

فالمقصود من هذه الاحتفالات اذن هو بلوغ سعادة عظمى، ومحكمة كبرى، وغايات سامية مستورة عنا.

☐ الصورة الحادية عشرة

تعال أيها الصديق المعاند، لنركب طائرة أو قطاراً، لنذهب الى الشرق او الى الغرب - أي الى الماضي أو الى المستقبل - لنشاهد ما اظهره السلطان من معجزات متنوعة في سائر الاماكن. فما رأيناه هنا في المعرض، أو في الميدان، أو في القصر، من الأمور العجيبة له نماذج في كل مكان، الاّ انه يختلف من حيث الشكل والتركيب. فيا صاحبي، أنعم النظر في هذا، لترى مدى ظهور انتظام الحكمة، ومبلغ وضوح اشارات العناية، ومقدار بروز امارات العدالة، ودرجة

ظهور ثمرات الرحمة الواسعة، في تلك القصور المتبدلة، وفي تلك الميادين الفانية، وفي تلك المعارض الزائلة. فمَن لم يفقد بصيرته يفهم يقيناً أنه لن تكون ـ بل لا يمكن تصور ـ حكمة أكملَ من حكمة ذلك السلطان ولا عناية اجملَ من عنايته، ولا رحمة أشمل من رحمته، ولا عدالة أجلّ من عدالته.. ولكن لما كانت هذه المملكة ـ كما هو معلوم ـ قاصرةً عن اظهار حقائق هذه الحكمة والعناية والرحمة والعدالة، ولو لم تكن هناك في مقر مملكته ـ كما توهمت ـ قصور دائمة، وأماكن مرموقة ثابتة، ومساكن طيبة خالدة، ومواطنون مقيمون، ورعايا سعداء تحقق تلك الحكمة والعناية والرحمة والعدالة، يلزم عندئذٍ انكار ما نبصره من حكمة، وانكار ما نشاهده من عناية، وانكار ما نّراه من رحمة، وانكار هذه الامارات والاشارات للعدالة الظاهرة البينة.. انكار كل ذلك بحماقة فاضحة كحماقة من يرى ضوء الشمس وينكر الشمس نفسَها في رابعة النهار! ويلزم أيضاً القول بأن القائم بما نراه من اجراءات تتسم بالحكمة وافعالٍ ذات غايات كريمة وحسنات ملؤها الرحمة انما يلهو ويعبث ويغدر ـ حاشاه ثم حاشاه ـ وما هذا الا قلب الحقائق الى أضدادها، وهو المحال باتفاق جميع ذوي العقول غير السوفسطائي الابله الذي يُنكِر وجودَ الاشياء، حتى وجودَ نفسه.

فهناك اذن ديار غير هذه الديار، فيها محكمة كبرى ، ودار عدالة عليا، ومقرٌ كرم عظيم، لتظهر فيها هذه الرحمة وهذه الحكمة وهذه العناية وهذه العدالة بوضوح وجلاء.

❑ الصورة الثانية عشرة

تعال فلنرجع الآن يا صاحبي، لنلتقي ضباطَ هذه الجماعات ورؤساءها، انظر الى معدّاتهم.. أزوّدوا بها لقضاء فترة قصيرة من الزمن في ميدان التدريب هذا، أم انها وُهِبَت لهم ليقضوا حياة سعيدة مديدة في مكان آخر؟ ولما كنا لا نستطيع لقاء كل واحد منهم، ولا نتمكن الاطلاع على جميع لوازمهم وتجهيزاتهم، لذا نحاول الاطلاع على هوية وسجل أعمال واحد منهم كنموذج ومثال. ففي الهوية نجد رتبة الضابط، ومرتّبه، ومهمته، وامتيازاته، ومجال اعماله، وكل ما يتعلق بأحواله.. لاحظ، ان هذه الرتبة ليست لأيام معدودة بل لمدة مديدة.. ولقد كتب في هويته انه يتسلّم مرتّبه من الخزينة الخاصة بتاريخ كذا.. غير أن هذا التاريخ بعيد جداً، ولا يأتي الا بعد انهاء مهام التدريب في هذا الميدان.. أما هذه الوظيفة فلا توافق هذا الميدان الموقت ولا تنسجم معه، بل هي للفوز بسعادة دائمة في مكان سامٍ عند الملك القدير.. أما

الواجبات فهي كذلك لا يمكن ان تـكون لقضاء ايام معدودة في دار الضيافة هذه، وانما هي لحياة أخرى سعيدة أبدية.. يتضح من الهوية بجلاء، ان صاحبها مهيأ لمكان أخر، بل يسعى نحو عالم آخر.

انظر الى هذه السـجـلات التي حدّدت فيهـا كـيفـيـة استـعمـال المعدّات والمسـؤوليات المترتبـة عليها، فـان لم تكن هناك منزلة رفيـعة خـالدة غيـر هذا الميـدان، فـلا معـنى لهذه الهـوية المتـقنة، ولا لهـذا السجل المنتظم، ولسـقط الضابط المحترم والقـائد المكرم والرئيس الموقر الى درك هابـط ولقي الشــقـاء والـذلة والمهــانة والنكبــة والضــعف والفـقر.. وقس عـلى هذا، فأينمـا انعـمت النظر متأمـلاً قـادك النظر والتدبر الى أن هناك بقاء بعد هذا الفناء..

فـيا صـديقي! ان هذه المملكـة المؤقتـة مـا هي إلا بمثابة مزرعـة، وميدان تعليم، وسوق تجـاري، فلابد ان تأتي بعدها محكمـة كبرى وسعـادة عظمى. فـاذا انكرتَ هذا، فـسـوف تضـطر الى انكار كل الهـويات والسـجـلات التي يمتلكـهـا الضــابط، وكل تـلك العُدد والاعتـدة والتعليمـات، بل تضطر الى انكار جمـيع الأنظمة في هذه المملكـة، بل انكار وجـود الدولة نفـسـهــا، وينبـغـي عند ذلك أن تكذّب جميع الاجـراءات الحادثة. وعنده لا يمكن ان يقال لك انك انسان له شعور. بل تكون اذ ذاك أشد حماقة من السوفسطائيين.

وإياك اياك أن تظن أن دلائل واشارات تبديل المملكة منحصرة في «اثنتي عشرة» صورة التي أوردناها، اذ ان هناك ما لايعد ولا يحصى من الامارات والادلة على أن هذه المملكة المتغيرة الزائلة تتحول الى اخرى مستقرة باقية، وهناك الكثير الكثير من الاشارات والعلامات تدل على أن هؤلاء الناس سينقلون من دار الضيافة المؤقتة الزائلة الى مقر السلطنة الدائمة الخالدة.

يا صاحبي! تعال لأقرر لك برهاناً اكثر قوة ووضوحاً من تلك البراهين الاثنى عشر التي انبأت عنها تلك الصور المتقدمة. تعال، فانظر الى المبعوث الكريم، صاحب الأوسمة الرفيعة الذي شاهدناه في الجزيرة - من قبل - انه يبلّغ أمراً الى الحشود الغفيرة التي تتراءى لنا على بُعد. فهيّا نذهب ونصغي اليه.. انتبه! فها هو يُفسّر للملأ البلاغ السلطاني الرفيع ويوضحه قائلاً لهم:

«تهيأوا! سترحلون الى مملكة اخرى خالدة، ما اعظمها من مملكة رائعة! ان مملكتنا هذه تعدّ كالسجن بالنسبة لها. فاذا ما اصغيتم الى هذا الامر بامعان، ونفّذتموه باتقان ستكونون اهلاً لرحمة سلطاننا واحسانه في مستقره الذي تتجهون اليه، والا فالزنزانات الرهيبة مثواكم جزاء عصيانكم الأمر وعدم اكتراثكم به»..

انه يذكّر الحاضرين بهذا البلاغ، وانت ترى على ذلك البلاغ

العظيم ختمَ السلطان الذي لا يُقلّد. والجميع يدركون يقيناً - إلا أمثالك من العميان - ان ذلك المبعوث المجلل بالأوسمة الرفيعة هو مبلّغ أمين لأوامر السلطان، بمجرد النظر الى تلك الأوسمة.

فيا ترى هل يمكن الاعتراض على مسألة تبديل هذه المملكة التي يدعو اليها ذلك المبعوث الكريم بكل ما أوتي من قوة، ويتضمنه البلاغ الملكي السامي؟ كلا.. لا يمكن ذلك أبداً، الا اذا انكرتَ جميع ما تراه من أمور وحوادث.

فالآن ايها الصديق! لك أن تقول ما تشاء.

- ماذا عساي أن أقول؟ وهل بقي مزيد من قول لقائل امام هذه الحقائق! وهل يقال للشمس وهي في كبد السماء، اين هي؟. ان كل ما أريد أن أقوله هو: الحمد لله، وألف شكر وشكر، فقد نجوت من قبضة الأوهام والاهواء، وتحررت من أسار النفس والسجن الابدي، فآمنت بأن هناك دار سعادة عند السلطان المعظم، ونحن مهيأون لها بعد هذه الدار الفانية المضطربة.

وهكذا تمت الحكاية التي كانت كناية عن الحشر والقيامة. والآن ننتقل بتوفيق العلي القدير الى الحقائق العليا، فسنبينها في «اثنتي عشرة حقيقة» وهي متسانده مترابطة مقابل الصور الاثنتي عشرة، بعد ان نمهد لها بمقدمة.

المقدمة

نشير اشارات فحسب الى بعض المسائل التي أوضحناها في اماكن اخرى، أي في الكلمات الثانية والعشرين، والتاسعة عشرة، والسادسة والعشرين.

◇ الاشارة الأولى

هناك ثلاث حقائق للمغفل ولصديقه الناصح الأمين المذكورين في الحكاية:

الاولى: هي نفسي الامارة وقلبي.

الثانية: متعلمو الفلسفة وتلاميذ القرآن الكريم.

الثالثة: ملة الكفر والامة الاسلامية.

ان عدم معرفة الله سبحانه وتعالى هو الذي أوقع متعلمي الفلسفة وملة الكفر والنفس الامارة في الضلالة الرهيبة. فمثلما قال الناصح الامين ـ في الحكاية ـ انه لا يمكن ان يكون حرف بلا كاتب، ولا قانون بلا حاكم، كذلك نقول:

انه محال ان يكون كتاب بلا كاتب، ولا سيما كتاب كهذا

الذي تتضمن كل كلمة من كلماته كتاباً خُطّ بقلم دقيق، والذي تحت كل حرف من حروفه قصيدة دُبجت بقلم رفيع. وكذلك من أمحل المحال أن يكون هذا الكون من غير مبدع، حيث ان هذا الكون كتاب على نحو عظيم تتضمن كل صحيفة فيه كتباً كثيرة، لا بل كل كلمة منها كتاباً، وكل حرف منها قصيدةً.. فوجه الارض صحيفة، وما اكثر ما فيها من كتب! والشجرة كلمة واحدة، وما اكثر ما فيها من صحائف! والثمرة حرف، والبذرة نقطة.. وفي هذه النقطة فهرس الشجرة الباسقة وخطة عملها. فكتاب كهذا ما يكون الا من ابداع قلم صاحب قدرة متصف بالجمال والجلال والحكمة المطلقة. أي أن مجرد النظر الى العالَم ومشاهدته يستلزم هذا الايمان، الاّ مَنْ أسكَرته الضلالة!.

ومثلما لا يمكن ان تكون دار بلا بنّاء، لاسيما هذه الدار التي زيّنت بأبدع زينة، ونقشت بأروع نقوش وأعجبها وشيّدت بصنعة خارقة، حتى ان كل حجر من أحجارها يتجسم فيه فن ما في البناء كله. فلا يقبل عاقل أن تكون دار مثل هذه الدار بلا بنّاء ماهر، وبخاصة أنه يشيِّد في هذا الديوان ـ في كل ساعة ـ مساكنَ حقيقية في غاية الانتظام والتناسق، ويغيّرها بانتظام وسهولة كاملين ـ

كسهولة تبديل الملابس - بل انه ينشئ في كل ركن غرفاً صغيرة عدة في كل مشهد حقيقي.

فلابد لهذا الكون العظيم من خالق حكيمٍ عليم قدير مطلق، لأن هذا الكون انما هو كالقصر البديع؛ الشمس والقمر مصابيحه، والنجوم شموعه وقناديله، والزمن شريط يعلق عليه الخالق ذو الجلال - في كل سنة - عالماً آخر يبرزُه للوجود، مجدّداً فيه صوراً منتظمة في ثلاثمائة وستين شكلاً وطرازاً، مبدلاً اياه بانتظام تام، وحكمة كاملة، جاعلاً سطح الارض مائدة نعمٍ، يزيّنها في كل ربيع بثلاثمائة ألف نوع من أنواع مخلوقاته، ويملؤها بما لا يعد ولا يحصى من آلائه، مع تمييز كلٍ منها تمييزاً كاملاً، على الرغم من تداخلها وتشابكها.. وقس على هذه الاشياء الامور الاخرى.. فكيف يمكن التغافل عن صانع مثل هذا القصر المنيف؟

ثم، ما اعظم بلاهة من ينكر الشمس في رابعة النهار، وفي صحوة السماء! في الوقت الذي يُرى تلألؤ أشعتها، وانعكاس ضوئها، على زبَد البحر وحبَابه، وعلى مواد البر اللامعة وعلى بلورات الثلج الناصعة، لأن انكار الشمس الواحدة ورفضها - في هذه الحالة - يستلزم قبول شُميسات حقيقية اصيلة، بعدد قطرات البحر وبعدد الزبَد والحباب وبعدد بلورات الثلج! ومثلما يكون

قبول وجود شمسٍ عظيمة في كل جزيئة ـ وهي تسع ذرة واحدة ـ بلاهةً، فان عدم الايمان بالخالق ذي الجلال، ورفض التصديق بأوصاف كماله سبحانه ـ مع رؤية هذه الكائنات المنتظمة المتبدلة والمتعاقبة بحكمة في كل آن والمتجددة بتناسق وانتظام في كل وقت ـ ضلالة ادهى ولاشك، بل هذيان وجنون.. لأنه يلزم اذ ذاك قبول ألوهية مطلقة في كل شئ حتى في كل ذرة!.

لأن كل ذرة من ذرات الهواء ـ مثلاً ـ تستطيع أن تدخل في كل زهرة، وفي كل ثمرة، وفي كل ورقة، وتتمكن ان تؤدي دورها هناك. فلو لم تكن هذه الذرة مأمورةً ومسخرةً للزم أن تكون على علمٍ باشكال ما تمكنت من الدخول فيه، وبصورته وتركيبه، وهيئته، أي يجب ان تكون ذات علم محيط، وذات قدرة شاملة كي تستطيع القيام بذلك!!

وكل ذرة من ذرات التراب ـ مثلاً ـ يمكن ان تكون سبباً لنشوء البذور ونمو أنواعها جميعاً. فلو لم تكن مأمورة ومسخّرة للزم أن تحتوي آلات وأجهزة معنوية بعدد انواع الاعشاب والاشجار، أو يجب منحها قدرة ومهارة بحيث تعلم جميع اشكال تراكيبها، فتصنعها، وتعرف جميع صورها، فتنسجها.. وقس على هذا سائر

الموجودات، حتى تفهم أن للوحدانية دلائل واضحة باهرة في كل شئ.

نعم، ان خلق كل شئ من شئ واحد، وخلق شئ واحد من كل شئ، انما هو عمل يخصّ خالق كل شئ. فتدبر وتأمل في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾. واعلم ان عدم الاعتقاد بالاله الواحد الأحد يستلزم الاعتقاد بآلهة عدة بعدد الموجودات!

◇ **الاشارة الثانية:**

لقد جاء في الحكاية ذكر مبعوث كريم، وذُكِر أن من لم يكن أعمى يفهم من رؤية أوسمته: أنه شخص عظيم، لا يأتمر الاّ بأمر السلطان، فهو عامله الخاص.. فهذا المبعوث انما هو رسولنا الاعظم ﷺ.

نعم، يلزم ان يكون لمثل هذا الكون البديع ولصانعه القدوس، مثل هذا الرسول الكريم، كلزوم الضوء للشمس. لانه كما لا يمكن للشمس الاّ ان تشع ضياءً كذلك لا يمكن للألوهية إلاّ ان تظهر نفسها بارسال الرسل الكرام عليهم السلام.

فهل يمكن ان لا يرغب جمالٌ في غاية الكمال في اظهار نفسه بوسيلة ودليل يعرّفه؟

ام هل يمكن ان لا يطلب كمالٌ في غاية الجمال الاعلانَ عنه بوساطة يلفت الانظار اليه؟

أم هل يمكن ان لا يتطلب سلطنةٌ كلية لربوبية عامة شاملة اعلان وحدانيتها وصمدانيتها على مختلف الطبقات بوساطة مبعوث ذي جناحين؟ أي ذي صفتين: صفة العبودية الكلية، فهو ممثل طبقات المخلوقات عند الحضرة الربانية. وصفة الرسالة والقرب اليه، فهو مُرسل من لدنه سبحانه الى العالمين كافة.

ام هل يمكن لصاحب جمال مطلق ان لا يروم ان يشهد هو ويُشهِد خلقه محاسن جماله ولطائف حسنه في مرايا تعكس هذا الجمال؟ أي بوساطة رسول حبيب؛ فهو حبيب لتودده الى الله سبحانه بعبوديته الخالصة، وهو رسول حبيب لأنه يحبب الله سبحانه الى الخلق باظهار جمال اسمائه الحسنى.

أم هل يمكن ان لا يريد مَن يملك خزائن مشحونة بأغلى الاشياء واعجبها وبما يدهش العقول، اظهارَ كماله المستتر. وان لا يطلب عرضه على انظار الخلق اجمعين، وكشفَه على مرأى منهم، بوساطة معرّف حاذق ومعلن وصّاف؟

أم هل يمكن لِمَن زيّن هذا الكون بمخلوقات معبّرة عن كمال اسمائه الحسنى، وجعله قصراً رائعاً، وجمّله ببدائع صنعته المذهلة، وعرضه على الأنظار، ثم لا يكل أمر ايضاحه الى مرشد معلم رائد؟.

أم هل يمكن ان لا يبيّن مالك هذا الكون بوساطة رسول: ما الغاية من تحولات هذا الكون وما القصد من هذا الطلسم المغلق؟ وان لا يجيب بوساطته عن ألغاز الاسئلة الثلاثة المستعصية في الموجودات، وهي: من أين؟ والى أين؟ ومن تكون؟

ام هل يمكن للخالق ذي الجلال الذي عرّف نفسه الى ذوي الشعور بهذه المخلوقات الجميلة، وحبّبها اليهم بنعمه الغالية، أن لا يبيّن لهم بوساطة رسول ما يريد منهم وما يرضيه ازاء هذه النعم السابغة؟

ام هل يمكن للخالق الذي ابتلى النوع الانساني باختلاف المشاعر والاتجاهات، وهيأ استعداده للعبودية التامة الكلية، أن لا يطلب توجيه انظار هذا النوع من الكثرة الى التوحيد بوساطة مرشد مرسل؟

وهكذا فان هناك دلائل اخرى زيادة على ما تقدم، كلها براهين

قاطعة تبين: «**وظائف النبوة ومهامها**»، وتوضّح: ان الالوهية لا تكون بلا رسالة.

والآن، فهل ظهر في العالم مَن هو اكثر اهلية، واجمع لتلك الاوصاف والوظائف التي ذكرت، من محمد الهاشمي ﷺ؟ ام هل هناك احد أليق منه ﷺ لمنصب الرسالة ومهمة التبليغ؟ وهل اظهر الزمان احداً اعظم أهلية منه؟ كلا. ثم كلا.. فهو امام جميع المرسلين، وقرة عين كل الاصفياء، وسلطان جميع المرشدين، وزبدة كل المختارين والمقربين، صاحب الوف المعجزات كشق القمر، ونبعان الماء من بين اصابعه الشريفة، مما عدا دلائل نبوته واماراتها التي لا تحصى، مما هو محل اجماع اهل الفضل والعلم، وعدا القرآن العظيم الذي هو بحر الحقائق والمعجزة الكبرى، اذ انه كالشمس الساطعة دليل قاطع على صدق رسالته.. ولقد اثبتنا اعجاز القرآن بما يقرب من أربعين وجهاً من وجوه الاعجاز في «رسائل النور» ولاسيما في «الكلمة الخامسة والعشرين».

◇ الاشارة الثالثة

لا يخطرنّ على بال أحد ويقول: ما أهمية هذا الانسان الصغير وما قيمته حتى تنتهي هذه الدنيا العظيمة وتفتح دنيا اخرى لمحاسبته

على اعماله!

لأن هذا الانسان، هو سيد الموجودات رغم انه صغير جداً، لما يملك من فطرة جامعة شاملة.. فهو قائد الموجودات،و الداعي الى سلطان الوهية اللّه، والممثل للعبودية الكلية الشاملة ومظهرها، لذا فان له اهمية عظمى.

ولا يخطرن على البال كذلك: كيف يكون هذا الانسان محكوماً بعذاب أبدي، مع أن له عمراً قصيراً جداً؟.

لأن الكفر جريمة كبرى، وجناية لا حدود لها، حيث انه يهبط بقيمة الكائنات ودرجتها ـ التي توازي قيمة مكاتيب صمدانية ودرجتها ـ الى هاوية العبث، ويوهم عدم وجود الغاية من ايجادها.. انه تحقير بيّن للكائنات كلها وانكارٌ لما يشاهد من انوار الاسماء الحسنى كلها، وانكار آثارها في هذه الموجودات، ومن ثم فانه تكذيب ما لا يحصى من الادلة الدالة على حقيقة وجود ذات الحق سبحانه وتعالى، وكل هذا جناية لا حدود لها، والجناية التي لا حدود لها توجب عذاباً غير محدد بحدود.

◇ الاشارة الرابعة

لقد رأينا في الحكاية بصورها الاثنتي عشرة:

انه لا يمكن بوجه من الوجوه أن تكون لسلطان عظيم مملكة مؤقتة - كأنها دار ضيافة - ثم لا تكون له مملكة اخرى دائمة مستقرة، ولائقة لأبهته وعظمته ومقام سلطنته السامية.

كذلك لا يمكن بوجه من الوجوه أن لا ينشئ الخالق الباقي سبحانه عالماً باقياً بعد أن أوجد هذا العالم الفاني.

ولا يمكن ايضاً ان يخلق الصانع السرمدي هذه الكائنات البديعة الزائلة، ولا ينشئ كائنات أخرى دائمة مستقرة.

ولا يمكن ايضاً ان يخلق الفاطر الحكيم القدير الرحيم هذا العالم الذي هو بحكم المعرض العام وميدان الامتحان والمزرعة الوقتية ثم لا يخلق الدار الآخرة التي تكشف عن غاياته وتظهر اهدافه!

ان هذه الحقيقة يتم الدخول فيها من «اثنى عشر باباً». وتفتح تلك الابواب بـ «اثنتي عشرة حقيقة»، نبدأ بأقصرها وأبسطها.

الحقيقة الأولى

باب الربوبية والسلطنة

وهو تجلي اسم «الرَّب»

أمن الممكن لمَن له شأن الربوبية وسلطنة الالوهية، فأوجد كوناً بديعاً كهذا الكون؛ لغايات سامية ولمقاصد جليلة، اظهاراً لكماله،ثم لا يكون لديه ثواب للمؤمنين الذين قابلوا تلك الغايات والمقاصد بالايمان والعبودية، ولا يعاقِب أهل الضلالة الذين قابلوا تلك المقاصد بالرفض والاستخفاف..؟!

الحقيقة الثانية

باب الكرم والرحمة

وهو تجلي اسم «الكريم والرَّحيم»

أمن الممكن لربّ هذا العالم ومالكه الذي أظهر بآثاره كرماً بلا نهاية، ورحمة بلا نهاية، وعزة بلا نهاية، وغيرة بلا نهاية، ان لا يقدّر مثوبة تليق بكرمه ورحمته للمحسنين، ولا يقرر عقوبة تناسب

عزته وغيرته للمسيئين؟.. فلو أنعم الانسان النظر في سير الحوادث ابتداءً من أضعف كائن حيّ وأشده عجزاً(١) وانتهاءً بأقوى كائن، لوجد ان كل كائن يأتيه رزقه رغداً من كل مكان، بل يَمنح سبحانه أضعفَهم وأشدّهم عجزاً ألطف الارزاق وأحسنها، ويسعف كل مريض بما يداويه.. وهكذا يجد كل ذي حاجة حاجته من حيث لا يحتسب.. فهذه الضيافة الفاخرة الكريمة، والاغداق المستمر، والكرم السامي، تدلّنا بداهة، ان يداً كريمة خالدة هي التي تعمل وتدير الامور.

فمثلاً: ان اكساء الأشجار جميعاً بحلل شبيهة بالسندس الخضر - كأنها حور الجنة - وتزيينَها بمرصعات الأزهار الجميلة والثمار اللطيفة، وتسخيرَها لخدمتنا بانتاجها ألطف الاثمار المتنوعة وألذها في نهايات اغصانها التي هي أيديها اللطيفة.. وتمكيننا من جني العسل اللذيذ - الذي فيه شفاء للناس - من حشرة سامة.. والباسَنا أجمل ثياب وألينها مما تحوكه حشرة بلا يد.. وادّخار خزينة

(١) ان الدليل القاطع على أن الرزق الحلال يُعطى حسب الافتقار، ولا يؤخذ بقوة الكائن وقدرته، هو: سعة معيشة الصغار الذين لا طاقة لهم ولا حول وضيق معيشة الحيوانات المفترسة، وبدانة الاسماك البليدة وهزال الثعالب والقردة ذوي الذكاء والحيل. فالرزق اذن يأتي متناسباً عكسياً مع الاختيار والقدرة، أي: كلما اعتمد الكائن على ارادته ابتلي بضيق المعيشة وتكاليفها ابتلاء اكثر.- المؤلف.

رحمة عظيمة لنا في بذرة صغيرة جداً.. كل ذلك يرينا بداهةً كرماً في غاية الجمال، ورحمة في غاية اللطف.

وكذا، ان سعي جميع المخلوقات، صغيرها وكبيرها ـ عدا الانسان والوحوش الكاسرة ـ لإنجاز وظائفها بانتظام تام ودقة كاملة، ابتداءً من الشمس والقمر والارض الى اصغر مخلوق، بشكل لا يتجاوز أحد حدّه قيد أنملة، ضمن الطاعة التامة والانقياد الكامل المحفوفَين بهيبة عظيمة، يظهر لنا ان هذه المخلوقات لا تتحرك ولا تسكن الا بأمر العظيم ذي العزة والجلال.

وكذا، ان عناية الامهات بأولادهن الضعاف العاجزين ـ سواء في النبات أو الحيوان أو البشر ـ عناية ملؤها الرأفة والرحمة(١)، وتغذيتها بالغذاء اللطيف السائغ من اللبن، تريك عظمة التجليات، وسعة الرحمة المطلقة.

---

(١) نعم ان ايثار الاسد الجائع شبله الضعيف على نفسه بما يظفر به من قطعة لحم، وهجوم الدجاج الجبان على الكلب والاسد حفاظاً على فراخها الصغيرة. وإعداد شجرة التين لصغارها ـ التي هي ثمارها ـ لبناً خالصاً من الطين.. كل ذلك يدل بداهة ـ لأهل البصائر ـ انها حصلت بأمر الرحيم الذي لا نهاية لرحمته، والكريم الذي لا نهاية لكرمه، والرؤوف الذي لا نهاية لرأفته وشفقته. وان قيام النباتات والحيوانات ـ التي لا وعي لها ولا شعور ـ بأعمال في منتهى الوعي والشعور والحكمة، يبين بالضرورة أن عليماً مطلقاً وحكيماً مطلقاً هو الذي يسوقها الى تلك الاعمال، وهي بأمره تأتمر. ـ المؤلف.

فـمـا دام رب هذا العـالم ومـدبّره له هذا الكرم الواسع، وهذه الرحـمـة التي لا منتـهى لهـا، وله الجلال والعـزة المطلقـان، وان العـزة والجلال المطلقين يقـتضيان تأديب المستـخفين، والكرم الواسع المطلق يتطلب اكـراماً غيـر متناه، والرحـمة التي وسـعت كل شئ تستدعي احساناً يَليق بها، بينما لا يتـحقق من كل ذلك في هذه الدنيا الفانية والعمر القصير الا جزء ضئيل جداً هو كقطرة من بحر.

فـلابد ان تكـون هناك دار سـعـادة تليق بذلك الكرم العـمـيم، وتنسجـم مع تلك الرحمة الواسـعة.. والا يلزم جـحود هذه الرحـمة المشهـودة، بما هو كانكار وجود الشـمس التي يملأ نورُها النهارَ، لأن الزوال الذي لا رجعة بعده يستلزم انتفاء حقيقة الرحمة من الوجود، بتبديله الشفقة مصيبةً، والمحبة حرقةً، والنعمة نقمةً واللذة ألماً، والعقل المحمود عضواً مشؤوماً.

وعليه فـلابد من دار جزاء تناسـب ذلك الجلال والعزة وتنـسجم معهـا. لأنه غالباً ما يظل الظالمُ في عزته، والمظلومُ في ذلته وخنوعه، ثم يرحلان على حالهما بلا عقاب ولا ثواب.

فـالامر اذن ليس اهـمالاً قط، وإن أُمـهلَت الى مـحكمـة كبـرى، فالقضية لم تُهمل ولن تُهـمل، بل قد تُعَجّل العقوبة في الدنيا. فانزال

العذاب في القرون الغابرة بأقوام عصت وتمردت يبين لنا ان الانسان ليس متروكاً زمامه، يسرح وفق ما يملي عليه هواه، بل هو معرّض دائماً لصفعات ذي العزة والجلال.

نعم، ان هذا الانسان الذي انيط به ـ من بين جميع المخلوقات ـ مهام عظيمة، وزود باستعدادات فطرية كاملة، إن لم يعرف ربه « بالايمان » بعد ان عرّف سبحانه نفسَه اليه بمخلوقاته البديعة المنتظمة.. وان لم ينل محبته بالتقرب اليه بـ « العبادة » بعد أن تحبب اليه سبحانه بنفسه وعرّفها اليه بما خلق له من الثمار المتنوعة الجميلة الدالة على رحمته الواسعة.. وان لم يقم بالتوقير والاجلال اللائقين به « بالشكر والحمد » بعد ان اظهر سبحانه محبته له ورحمته عليه بنعمه الكثيرة... نعم، إن لم يعرف هذا الانسان ربه هكذا، فكيف يُترك سدى دون جزاء، ودون ان يعدّ له ذو العزة والجلال داراً للعقاب؟

وهل من الممكن ان لا يمنح ذلك الرب الرحيم دار ثوابٍ وسعادة ابدية، لأولئك المؤمنين الذين قابلوا تعريفَ ذاته سبحانه لهم بمعرفتهم اياه بـ « الايمان » ومحبته لهم، بالحب والتحبب له بـ « العبادة »، ورحمته لهم بالاجلال والتوقير له بـ « الشكر » ؟

الحقيقة الثالثة

باب الحكمة والعدالة

وهو تجلي اسم «الحكيم والعادل»

أمن الممكن(١) لخالق ذي جلال أظهر سلطان ربوبيته بتدبير قانون الوجود ابتداء من الذرات وانتهاء بالمجرات، بغاية الحكمة والنظام وبمنتهى العدالة والميزان.. ان لا يعامل بالاحسان من احتموا بتلك الربوبية وانقادوا لتلك الحكمة والعدالة، وان لا يجازي اولئك الذين عصوا بكفرهم وطغيانهم تلك الحكمة والعدالة؟.

بينما الانسان لا يلقى ما يستحقه من الثواب أو العقاب في هذه الحياة الفانية على وجه يليق بتلك الحكمة وتلك العدالة الا نادراً، بل

---

(١) ان عبارة «أمن الممكن؟» تتكرر كثيراً، فهي تفيد غاية مهمة وهي: ان الكفر والضلال يتولدان غالباً من الاستبعاد، أي يرى الانسان ما لا يعتقده بعيداً عن ميزان العقل، فيعده محالاً، ويبدأ بالانكار والكفر.. ولكن هذه الكلمة (الحشر) أوضحت بادلة قاطعة: ان الاستبعاد الحقيقي والمحال الحقيقي والبعد عن موازين العقل والصعوبة الحقة والمشكلات العويصة التي هي بدرجة الامتناع، انما هي في الكفر ومنهج اهل الضلال. وان الامكان الحقيقي، والمعقولية التامة والسهولة الجارية مجرى الوجوب، انما هي في طريق الايمان، وجادة الاسلام.
والخلاصة: ان الفلاسفة انما زلّوا الى الانكار نتيجة الاستبعاد. وهذه (الكلمة العاشرة) تبين بتلك العبارة: «أمن الممكن؟» أين يكمن الاستبعاد، وتوجّه ضربة على أفواههم. ـ المؤلف.

يؤخر، اذ يرحل اغلب أهل الضلالة دون ان يلقوا عقابهم، ويذهب اكثر اهل الهداية دون أن ينالوا ثوابهم.. فلابد ان تناط القضية بمحكمة عادلة، وبلقاءٍ آيل الى سعادة عظمى.

نعم، انه لواضح ان الذي يتصرف في هذا الكون انما يتصرف فيه بحكمة مطلقة. أفتطلب برهاناً على هذا؟.. فانظر الى رعايته سبحانه للمصالح والفوائد في كل شئ!.. ألا ترى ان اعضاء الانسان جميعاً سواء العظام منها أو العروق وحتى خلاياه الجسمية وكل جزء منه ومكان، قد روعيت فيه فوائد وحكم شتى، بل ان في اعضاء جسمه من الفوائد والاسرار بقدر ما تنتجه الشجرة الواحدة من الثمار، مما يدل على ان يد حكمة مطلقة تدير الامور. فضلاً عن التناسق البديع في صنعة كل شئ والانتظام الكامل فيها اللذان يدلان على ان الامور تؤدى بحكمة مطلقة.

نعم، ان تضمين الخطة الدقيقة لزهرة جميلة في بُذيرتها الصغيرة، وكتابة صحيفة اعمال شجرة ضخمة وتاريخ حياتها وفهرس اجهزتها، في نويّتها بقلم القَدَر المعنوي.. يرينا بوضوح ان قلم حكمة مطلقة هو الذي يتصرف في الأمر.. وكذا، وجود روعة الصنعة الجميلة وغاية حُسنها في خلقة كل شئ، يُظهر ان صانعاً حكيماً مطلقاً هو صاحب هذا الابداع وهذه النقوش..

نعم، ان ادراج فهرس الكائنات جميعاً، ومفاتيح خزائن الرحمة كافة ومرايا الأسماء الحسنى كلها، في هذا الجسم الصغير للانسان، لما يدل على الحكمة البليغة في الصنعة البديعة.. فهل من الممكن لمثل هذه الحكمة المهيمنة على مثل هذه الاجراءات والشؤون الربانية ان لا تحسن معاملة أولئك الذين استظلوا بظلها وانقادوا لها بالايمان، وان لا تثيبهم اثابة أبدية خالدة؟.

وهل تريد برهاناً على انجاز الاعمال بالعدل والميزان؟

ان منح كل شئ وجوداً بموازين حساسة، وبمقاييس خاصة، وإلباسَه صورة معينة، ووضعَه في موضع ملائم.. يبيّن بوضوح ان الامور تسير وفق عدالة وميزان مطلقين.

وكذا، اعطاء كل ذي حق حقه وفق استعداده ومواهبه، أي اعطاء كل ما يلزم، وما هو ضروري لوجوده، وتوفير جميع ما يحتاج الى بقائه في افضل وضع، يدلّ على أن يد عدالة مطلقة هي التي تُسيّر الامور.

وكذا، الاستجابة المستمرة والدائمة لما يُسأل بلسان الاستعداد او الحاجة الفطرية، أو بلسان الاضطرار، تُظهر ان عدالةً مطلقة،

وحكمة مطلقة هما اللتان تُجريان عجلة الوجود.

فالآن، هل من الممكن أن تهمل هذه العدالة وهذه الحكمة تلك الحاجة العظمى، حاجة البقاء لأسمى مخلوق وهو الانسان؟ في حين انهما تستجيبان لأدنى حاجة لأضعف مخلوق؟ فهل من الممكن ان تردّا أهم ما يرجوه الانسان واعظم ما يتمناه، وألاّ تصونا حشمة الربوبية وتتخلفا عن الاجابة لحقوق العباد؟.

غير ان الانسان الذي يقضي حياة قصيرة في هذه الدنيا الفانية لا ينال ولن ينال حقيقة مثل هذه العدالة. وانما تؤخّر الى محكمة كبرى. حيث تقتضي العدالة الحقة أن يلاقي هذا الانسان الصغير ثوابَه وعقابه لا على اساس صغره، بل على اساس ضخامة جنايته، وعلى اساس أهمية ماهيته، وعلى اساس عظمة مهمته.. وحيث ان هذه الدنيا العابرة بعيدة كل البعد عن أن تكون محلاً لمثل هذه العدالة والحكمة بما يخص هذا الانسان ـ المخلوق لحياة ابدية ـ فلابد من جنة أبدية، ومن جهنم دائمة للعادل الجليل ذي الجمال وللحكيم الجميل ذي الجلال.

الحقيقة الرابعة

باب الجود والجمال

وهو تجلي اسم «الجواد والجميل»

أمن الممكن لجود وسخاء مطلقين، وثروة لا تنضب، وخزائن لا تنفد، وجمال سرمدي لا مثيل له، وكمال ابدي لا نقص فيه، ان لا يطلب دار سعادةٍ ومحل ضيافةٍ، يخلد فيه المحتاجون للجود، الشاكرون له، والمشتاقون الى الجمال، المعجبون به؟

ان تزيين وجه العالم بهذه المصنوعات الجميلة اللطيفة، وجعل الشمس سراجاً، والقمر نوراً، وسطح الارض مائدة للنعم، وملأها بألذ الأطعمة الشهية المتنوعة، وجعل الاشجار أواني وصحافاً تتجدد مراراً كل موسم.. كل ذلك يظهر سخاءً وجوداً لا حد لهما. فلابد ان يكون لمثل هذا الجود والسخاء المطلقين، ولمثل هذه الخزائن التي لا تنفد، ولمثل هذه الرحمة التي وسعت كل شئ، دارَ ضيافة دائمة، ومحل سعادة خالدة يحوي ما تشتهيه الانفس وتلذ الأعين وتستدعي قطعاً ان يخلد المتلذذون في تلك الدار، ويظلوا ملازمين لتلك السعادة ليبتعدوا عن الزوال والفراق، اذ كما ان زوال اللذة ألم فزوال الألم لذة كذلك، فمثل هذا السخاء يأبى الايذاء قطعاً.

أي ان الامر يقتضي وجود جنة أبدية، وخلود المحتاجين فيها؛ لأن الجود والسخاء المطلقين يتطلبان احساناً وانعاماً مطلقين، والاحسان والانعام غير المتناهيين يتطلبان تنعماً وامتناناً غير متناهيين، وهذا يقتضي خلود انعام من يستحق الاحسان اليه، كي يظهر شكره وامتنانه بتنعمه الدائم ازاء ذلك الانعام الدائم.. وإلا فاللذة اليسيرة - التي ينغّصها الزوال والفراق - في هذه الفترة الوجيزة لا يمكن أن تنسجم ومقتضى هذا الجود والسخاء.

ثم انظر الى معارض اقطار العالم التي هي مشهد من مشاهد الصنعة الإلهية، وتدبّر في ما تحمله النباتات والحيوانات على وجه الارض من اعلانات ربانية(١) وانصت الى الداعين الادلاء الى محاسن الربوبية وهم الانبياء عليهم السلام والاولياء الصالحون، كيف انهم يرشدون جميعاً الناس لمشاهدة كمال صنعة الصانع ذي الجلال بتشهيرهم صنعته البديعة ويلفتون انظارهم اليها.

اذن، فلصانع هذا العالم كمال فائق عظيم مثير للاعجاب، خفي مستتر، فهو يريد اظهاره بهذه المصنوعات البديعة، لأن الكمال

---

(١) نعم، ان الزهرة الجميلة وهي في غاية الزينة والزخرفة، والثمرة المنضّدة وهي في منتهى الاتقان والابداع، المعلقتين بخيط دقيق في نهاية اغصان يابسة يبوسة العظم.. لاشك انهما «لوحة اعلان» تجعل ذوي المشاعر يقرأون فيها محاسن صنعة الصانع المعجز الحكيم!.. قس على النباتات الحيوانات ايضاً. - المؤلف.

الخفي الذي لا نقص فيه ينبغي الاعلان عنه على رؤوس اشهاد مقدّرين مستحسنين معجبين به. وان الكمال الدائم يقتضي ظهوراً دائماً، وهذا بدوره يستدعي دوام المستحسنين المعجبين، اذ المعجب الذي لا يدوم بقاؤه تسقط في نظره قيمة الكمال(١).

ثم ان هذه الموجودات العجيبة البديعة الدقيقة الرائعة المنتشرة في هذا الكون تدل بوضوح ـ كدلالة ضوء النهار على وجود الشمس ـ على محاسن الجمال المعنوي الذي لا مثيل له، وتريك كذلك لطائف الحسن الخفي الذي لا نظير له(٢). وان تجلي ذلك الحُسن الباهر المنزّه، وذلك الجمال الزاهر المقدس يشير الى كنوز كثيرة خفية موجودة في الاسماء الحسنى، بل في كل اسم منها.

ومثلما يطلب هذا الجمال الخفي السامي الذي لا مثيل له، أن يرى محاسنه في مرآة عاكسة ويشهد قِيم حُسنه ومقاييس جماله في

(١) نعم لقد ذَهَب مثلاً: أن حسناء بارعةَ الجمال طردت احدَ المعجبين بها، فقال هذا المعجب مسلياً نفسه: تبّاً لها ما أقبحها.. منكراً جمال تلك الجميلة. وذات يوم مرّ دُب تحت شجرة عنب ذات عناقيد لذيذة، فأراد أن يأكل من ذلك العنب الحلو، ولّما لم تصل يده اليه، وعجز عن التسلق، قال متمتماً: انه حامض، فسلى نفسه.. ومضى في طريقه.ـ المؤلف.

(٢) ان الموجودات الشبيهة بالمرايا مع أنها تتعاقب بالزوال والفناء فان وجود تجليات الجمال نفسه والحسن عينه في وجهها، وفي التي تعقبها، يدل على أن ذلك الجمال ليس ملكاً لها، بل هو آيات حسنٍ منزّه، وامارات جمالٍ مقدّس. ـ المؤلف.

مرآة ذات مشاعر وأشواق اليه، فانه يريد الظهور والتجلي ليرى جماله المحبوب ايضاً بأنظار الآخرين. أي أن النظر الى جمال ذاته يستدعي أن يكون من جهتين:

الاولى: مشاهدة الجمال بالذات في المرايا المختلفة المتعددة الالوان.

والاخرى: مشاهدة الجمال بنظر المشاهدين المشتاقين المعجبين المستحسنين.

أي أن الجمال والحسن يقتضيان الشهود والإشهاد (الرؤية والاراءة) وهذا الشهود والإشهاد يستلزمان وجود المشاهدين المشتاقين والمستحسنين المعجبين.. ولما كان الجمال والحسن خالدين سرمديين فانهما يقتضيان خلود المشتاقين وديمومتهم. لأن الجمال الدائم لا يرضى بالمشتاق الزائل الآفل. لذا فالمشاهد الذي يشعر بالزوال - وقضى على نفسه بعدم العودة الى الحياة - تتحول بمجرد تصوره الزوال محبته عداءً، واعجابه استخفافاً، واحترامه اهانةً، لأن الشخص الاناني مثلما يعادي مايجهله يعادي ما لا تصل اليه يده ايضاً، فيضمر عداءً وحقداً وانكاراً لذلك الجمال الذي ينبغي ان يقابَل بما يستحقه من محبة بلا نهاية وشوق بلا غاية واعجاب بلا حدّ. ومن هذا يُفهم سرّ كون الكافر عدواً لله سبحانه وتعالى.

ولما كـان ذلك الجود في العطاء غير المحدود، وذلك الحسن في الجمال الذي لا مثيل له، وذلك الكمال الذي لا نقص فيه.. يقتضي خلود الشاكرين، وبقـاء المشتاقين المستحسنين، ونحن نشاهد رحلة كل شـخص واختـفاءه بسـرعـة في دار ضيـافة الدنيـا هذه، دون أن يستمـتع باحسـان ذلك السخاء الا نزراً يسـيراً بما يفتح شهيـته فقط، ودون أن يرى من نور ذلك الجـمـال والكمـال الاّ لمحة خـاطفـة. اذن الرحلة منطلقة نحو متنزهات خالدة ومَشاهدَ أبدية.

الخلاصة: مثلمـا أن هذا العالم يدل بموجوداته دلالة قاطعـة يقيناً على صانعـه الكريم ذي الجلال، فصـفاته المقدسـة سبحانه واسـماؤه الحـسنى تدل كـذلك على الـدار الآخرة بلا ريـب وتظهـرها، بل تقتضيها.

الحقيقة الخامسة

باب الشفقة وعبودية محمدﷺ

وهو تجلي اسم «المجيب والرَّحيم»

أمن الممكن لرب ذي رحـمة واسـعة وشـفقـة غير متناهيـة يبصر أخفى حـاجة لأدنى مخلوق، ويسـعفه مـن حيث لا يحتـسـب برأفة

غير متناهية ورحمة سابغة، ويسمع أخفت صوت لأخفى مخلوق فيغيثه، ويجيب كل داعٍ بلسان الحال والمقال، أمن الممكن الا يقضي هذا الرب المجيب الرحيم أهم حاجة لأعظم عباده(١) وأحب خلقه اليه، ولا يسعفه بما يرجوه منه؟

فحُسن تربية صغار الحيوانات وضعافها، واعاشتها بسهولة ولطف ظاهرين تريانا ان مالك هذه الكائنات يسيّرها بربوبية لا حدّ لرحمتها. فهل يعقل لهذه الربوبية المتصفة بكمال الشفقة والرأفة الآ تستجيب لأجمل دعاء لأفضل مخلوق؟..

وكما بينتُ هذه الحقيقة في «الكلمة التاسعة عشرة» أعيد بيانها هنا:

---

(١) نعم، ان الذي حكم ودام سلطان حكمه الفاً وثلاثمائة وخمسين سنة. والذي عدد أمته أكثر من ثلثمائة وخمسين مليوناً ـ في اغلب الاوقات ـ وهم يجددون معه البيعة يومياً، ويشهدون بعلو مكانته وينقادون لأوامره انقياداً تاماً عن رغبة وطواعية.. هذا الذي تسربل نصف الأرض وخمس البشرية بسرباله المبارك، وانطبع بطابعه المعنوي، واصبحت ذاته الشريفة محبوبة قلوبهم، ومربية أرواحهم، ومزكّية نفوسهم، لا ريب انه العبد الاعظم لرب العالمين سبحانه.. هذا العبد الكريم الذي رحّب اغلب انواع الكائنات بمهمته ورسالته فحمل كل نوع ثمرةً من ثمرات معجزاته، لا ريب انه احب مخلوق لدى الخالق العظيم.. وان البشرية التي ترجو الخلود بكل ما لها من استعداد وتطلب هذه الحاجة الملحة التي تنقذها من التردي الى دركات اسفل سافلين وترفعها الى درجات أعلى عليين.. فهي حاجة عظمى، لا ريب أن من يتقدم بها ويرفعها الى قاضي الحاجات لهو اعظم العباد. ـ المؤلف.

فيا صديقي الذي يسمعني مع نفسي! لقد ذكرنا في الحكاية: ان هناك اجتماعاً في جزيرة، وان مبعوثاً كريماً يرتجل خطبة هناك، فحقيقة ما أشارت اليه الحكاية هي ما يأتي:

تعال! لنتجرد من قيود الزمان، ولنذهب بأفكارنا الى عصر النبوة، وبخيالنا الى تلك الجزيرة العربية كي نحظى بزيارته ﷺ، وهو يزاول وظيفته بكامل عبوديته. انظر! كيف انه سبب السعادة بما اتى به من رسالة وهداية، فانه ﷺ هو الداعي لايجاد تلك السعادة وخلق الجنة بدعائه وبعبوديته.

انظر الى هذا النبي الكريم إلامَ يدعو.. انه يدعو الى السعادة الابدية في صلاة كبرى شاملة، وفي عبادة رفيعة مستغرقة، حتى أن الجزيرة العربية، بل الارض برمّتها، كأنها تصلي مع صلاته، وتبتهل الى الله بابتهاله الجميل، ذلك لأن عبوديته ﷺ تتضمن عبودية جميع أمته الذين اتبعوه، كما تتضمن ـ بسر الموافقة في الاصول ـ سرّ العبودية لجميع الانبياء عليهم السلام. فهو يؤم صلاة كبرى ـ ايّما صلاة ـ ويتضرع بدعاء ـ ويا له من تضرع رقيق ـ في خلق

عظيم، كأن الذين تنوروا بنور الايمان ـ من لدن آدم عليه السلام الى الآن والى يوم القيامة ـ اقتدوا به، وأمّنوا على دعائه(١).

انظر! كيف يدعو الله حاجة عامة كحاجة البقاء والخلود!. هذه الدعوة التي لا يشترك فيها معه أهل الارض وحدهم، بل أهل السموات ايضاً، لا بل الموجودات كافة. فتقول بلسان الحال: «آمين اللهم آمين استجب يا ربنا دعاءه، فنحن نتوسل بك ونتضرع اليك مثله».

ثم انظر! انه يسأل تلك السعادة والخلود بكل رقة وحزن، وبكل حب وود، وبكل شوق والحاح، وبكل تضرع ورجاء، يحزن الكون جميعاً ويبكيه فيسهمه في الدعاء.

ثم انظر وتأمل! انه يدعو طالباً السعادة لقصد عظيم، ولغاية سامية.. يطلبها لينقذ الانسان والمخلوقات جميعاً من التردي الى

(١) نعم، ان جميع الصلوات التي تقيمها الامة كلها، منذ المناجاة الاحمدية ـ عليه الصلاة والسلام ـ وجميع الصلوات والتسليمات التي تبعثها الى النبي ﷺ ان هي الا تأمين دائم لدعائه، ومشاركة عامة معه، حتى أن كل صلاة وسلام عليه هو تأمين على ذلك الدعاء. وان ما يأتيه كل فرد من أفراد الأمة من الصلوات في الصلاة، ومن الدعاء عقب الاقامة ـ لدى الشافعية ـ انما هو تأمين عام على ذلك الدعاء الذي يدعو به للسعادة الابدية. فالنبي ﷺ يرجو في دعائه البقاء والسعادة الابدية، وهذا هو ما يريده الانسان ويرجوه بكل ما أوتي من قوة بلسان حال فطرته، لذا يؤمّن خلفه جميع الذين تنوّروا بنور الايمان. فهل يمكن ألاّ يقرن هذا الدعاء بالقبول والاستجابة؟! ـ المؤلف.

هاوية أسفل سافلين وهو الفناء المطلق والضياع والعبث، ويرفعه الى أعلى عليين وهو الرفعة والبقاء وتقلّد الواجبات وتسلّم المسؤوليات، ليكون أهلاً لها ويرقى الى مرتبة مكاتيب صمدانية.

انظر! كيف انه يطلب الاستعانة مستغيثاً ببكاء، متضرعاً راجياً من الاعماق، متوسلاً بإلحاح.. حتى كأنه يُسمع الموجودات جميعاً، بل السموات، بل العرش، فيهزّهم وجداً وشوقاً الى دعائه ويجعلهم يرددون: آمين اللّهم آمين(١).

---

(١) نعم، انه لا يمكن بحال من الاحوال ألاّ يطّلعَ ربٌّ هذا العالم على افعال مَن هو بالمنزلة الرفيعة من خلقه، في الوقت الذي يتصرف في الكون بكل علم وبصيرة وحكمة، كما هو مشاهد. ولا يمكن أيضاً بحال من الاحوال ألاّ يبالي ذلك الرب العليم بدعاء هذا العبد المختارمن عباده، وهو المطلع على كل افعاله ودعواته. كذلك لا يمكن بحال من الاحوال ألاّ يستجيب ذلك الرب القدير الرحيم لتلك الدعوات وهو يرى من صاحبها كل التجرد والافتقار اليه.

نعم، لقد تبدل وضع العالم بنور النبيﷺ، وتبينت حقيقة الانسان والكون وماهيتهما بذلك النور، وانكشفت بذلك الضياء. فظهر: ان موجودات هذا الكون مكاتيب صمدانية تستقرئ الاسماء الحسنى، ومأمورات موظفات، وموجودات نفيسة ذات معنى ومغزى تليق بالبقاء. فلولا ذلك النور لظل الكون مستوراً تحت ظلام الأوهام، محكوماً عليه بالفناء المطلق والعدم، تافهاً دون معنى ودون نفع، بل كان عبثاً وسدى ووليد الصدفة. ولهذا السر فان كل شيء في الارض والسماء، من الثرى الى الثريا يستضيئ بنورهﷺ ويبدى علاقته به مثلما يؤمّن الانسان لدعائه ولا غرو ان روح العبودية المحمدية ومخها انما هو الدعاء بل ان حركات الكون ووظائفه جميعاً ما هي الا نوع من الدعاء، فنمو البذرة وتحولاتها مثلاً ما هو إلاّ نوع من دعاء لبارئها لتصبح شجرة باسقة. ـ المؤلف.

وانظر! انه يسأل السعادة والبقاء الابدي، ويرجوهما من قدير سميع كريم، ومن عليم بصير رحيم يرى ويسمع أخفى حاجة لأضعف مخلوق فيتداركه برحمته، ويستجيب له، حتى إن كان دعاءً بلسان الحال.

نعم، انه يستجيب له ببصيرة ورحمة ويغيثه بحكمة، مما ينفي أية شبهةٍ بأن تلك الرعاية الفائقة ليست الاّ من لدن سميع بصير، وان ذلك التدبير الدقيق ليس اِلاّ من عند كريم رحيم.

نعم، ان الذي يقود جميع بنى آدم على هذه الارض متوجهاً الى العرش الاعظم، رافعاً يديه، داعياً بدعاء شامل لحقيقة العبودية الأحمدية التي هي خلاصة عبودية البشرية.. ترى ماذا يريد؟ ماذا يريد شرف الانسانية، وفخر الكائنات، وفريد الازمان والاكوان؟!. لننصت اليه.. انه يسأل السعادة الابدية لنفسه ولأمته، انه يسأل الخلود في دار البقاء، انه يسأل الجنة ونعيمها.. نعم، يسألها ويرجوها مع تلك الاسماء الإلهية المتجلية بجمالها في مرآة الموجودات.. انه يستشفع تلك الاسماء الحسنى كما ترى.

أرأيت ان لم يكن شئ من اسباب موجبة لا تعد ولا تحصى للآخرة ولا شئ من دلائل وجودها، أليس دعاء واحد من هذا النبي

الكريم ﷺ سبباً كافياً لايجاد الجنة(١) التي هي سهلة على قدرة خالقنا الرحيم، كسهولة اعادة الحياة الى الارض في ايام الربيع؟.

نعم، ان الذي جعل سطح الارض في الربيع مثالاً للحشر، فاوجد فيه مائة نموذج من نماذجه بقدرته المطلقة، كيف يصعب عليه ايجاد الجنة؟.. اذن فكما كانت رسالته ﷺ سبباً لايجاد دار الامتحان هذه، وصارت بياناً وايضاحاً لسر «لَوْلاَكَ لَوْلاَكَ لَمَا خَلَقْتُ الافْلاَكَ» (٢) فان عبوديته كذلك اصبحت سبباً لخلق تلك الدار السعيدة الابدية.

فهل من الممكن يا ترى لانتظام العالم البديع الذي حيّر العقول والصنعة المتقنة وجمال الربوبية الشاملة في اطار رحمته الواسعة، ان يقبل قبحاً فظيعاً وظلماً شنيعاً وفوضى ضاربة اطنابها، بعدم استجابة

---

(١) نعم، ان ابداء نماذج الصنعة الدقيقة البديعة التي لا تعد ولا تحصى على وجه الارض الذي هو بمثابة صحيفة صغيرة بالنسبة الى عالم الآخرة الفسيح، وكذا اراءة نماذج الحشر والقيامة في ثلاثمائة ألف من مخلوقات ذات موازنة وانتظام، وكتابتها في تلك الصحيفة الواحدة بهذا النظام البديع، لاشك انها أعقد من تهيئة الجنة الموسومة بالفخامة والرفعة في عالم البقاء الرحب، لذا يصح القول: ان خلق حدائق الربيع بما فيها من الازهار والرياحين أمر يبعث على الحيرة والدهشة اكثر مما يبعثها خلق الجنة، وبنسبة علو درجة الجنة ورفعة مكانتها على الربيع. ـ المؤلف.

(٢) تناوله العلماء معنى ومبنى، ولعل قول علي القاري هو الوسط بين المثبتين والنافين له اذ يقول: انه صحيح معنى ولو ضعف مبنى (شرح الشفا ٦/١). ـ المترجم.

ذلك الدعاء أي أن لا يراعي ولا يسمع ولا ينجز اكثر الرغبات اهمية، واشدها ضرورة في حين انه يراعي باهتمام بالغ ابسط الرغبات وأصغرها، ويسمع أخفت الاصوات وادقها ويقضي لكل ذي حاجة حاجته! كلا ثم كلا الف ألف مرة، ان مثل هذا الجمال يأبى التشوه ولن يكون قبيحاً(١).

فالرسول ﷺ اذن يفتح بعبوديته باب الآخرة مثلما فتح برسالته باب الدنيا.

عليه صلوات الرحمن ملء الدنيا ودار الجنان.

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك، ذلك الحبيب الذي هو سيد الكونين، وفخر العالمين، وحياة الدارين، ووسيلة السعادتين، وذو الجناحين، ورسول الثقلين وعلى آله وصحبه اجمعين، وعلى اخوانه من النبيين والمرسلين. آمين.

---

(١) نعم، ان انقلاب الحقائق محال بالاتفاق. واشد محالاته هو انقلاب الضد الى ضده. وضمن عدم امكان انقلاب الحقائق الى اضدادها حقيقة لا تقبل الضد قطعاً، وهي انقلاب الشيء مع احتفاظه بماهيته الى عين ضده، كأن ينقلب الجمال المطلق - مع احتفاظه بهذا الجمال - الى القبح الحقيقي! فتحول جمال الربوبية الواضح والظاهر ظهوراً جلياً الى ضده مع بقائه على ماهيته هو اشد محالاً واكثر عجباً في احكام العقل. ـ المؤلف.

الحقيقة السادسة

باب العظمة والسرمدية

وهو تجلي اسم «الجليل والباقي»

أمن الممكن لرب جليل يدير الموجودات ويسخّرها من الشموس الى الاشجار والى الذرات والى ما هو اصغر منها، كأنها جنود مجندة، أن يقصر نشر سلطانه على مساكين فانين يقضون حياة مؤقتة في دار ضيافة الدنيا هذه ولا ينشئ مقراً سامياً سرمدياً ومدار ربوبية جليلة باقية له؟!

ان ما نشاهده في هذا الكون من الاجراءات الجليلة الضخمة امثال تبدل المواسم.. ومن التصرفات العظيمة امثال تسيير النجوم.. ومن التسخيرات المدهشة امثال جعل الارض مهاداً والشمس سراجاً.. ومن التحولات الواسعة امثال احياء الأرض وتزيينها بعد جفافها وموتها.. ليبيّن لنا بجلاء ان وراء الحجاب ربوبية جليلة عظيمة تحكم وتهيمن بسلطانها الجليل. فمثل هذه السلطنة الربانية تستدعي رعايا يليقون بها، ومظاهر تناسبها. بينما ترى ان مَن لهم افضل المزايا وأجمعها من الرعايا والعباد قد اجتمعوا مؤقتاً منهوكين في مضيف الدنيا، والمضيف نفسه يملأ ويفرغ يومياً، والرعايا لا

يلبثون فيه الاّ بمقدار أداء تجربة مهماتهم في ميدان الاختبار هذا. والميدان نفسه يتبدل كل ساعة. فالرعايا يقفون دقائق معدودة لرؤية ما في معارض سوق العالم من نماذج الآلاء الثمينة للخالق ذي الجلال، ومشاهدين ـ لأجل التجارة ـ بدائع صنعه سبحانه في هذا المعرض الهائل، ومن ثم يغيبون، والمعرض نفسه يتبدل ويتغير كل دقيقة! . فمن يرحل فلا عودة له، والقابل راحل. فهذا الوضع يبين بوضوح وبشكل قاطع ان وراء هذا المضيف الفاني، وخلف هذا الميدان المتغير، وبعد هذا المعرض المتبدل، قصوراً دائمة تليق بالسلطنة السرمدية، ومساكن ابدية ذات جنان، وخزائن ملأى بالأصول الخالصة الراقية للنماذج التي نراها في الدنيا؛ لذا فالدأب والسعي هنا انما هو للتطلع الى ما هناك.. والاستخدام هنا لقبض الاجرة هناك. فلكلٍ حسب استعداده واجتهاده سعادة وافرة ان لم يفقدها.

. نعم، انه محال ان تظل مثل هذه السلطنة السرمدية مقصورة على هؤلاء الفانين الاذلاء..

فانظر الى هذه الحقيقة من خلال منظار هذا المثال:

هب انك تسير في طريق، وتشاهد أن عليها (فندقاً فخماً) بناه ملك عظيم لضيوفه، وهو ينفق مبالغ طائلة لتزيينه وتجميله كي

يُدخل البهجة في قلوب ضيوفه، ويعتبروا بما يرون. بيد أن اولئك الضيوف لا يتفرجون الا على أقل القليل من تلك التزيينات، ولا يذوقون الا أقل القليل من تلك النعم، حيث لا يلبثون الا قليلاً ومن ثم يغادرون الفندق دون ان يرتووا ويشبعوا. سوى ما يلتقطون من صور أشياء في الفندق بما يملكون من آلة تصوير وكذلك يفعل عمال صاحب الفندق وخدامه حيث يلتقطون حركات هؤلاء النزلاء وسكناتهم بكل دقة وأمانة ويسجلونها. فها أنت ذا ترى ان الملك يهدّم يومياً اغلب تلك التزيينات النفيسة، مجدداً اياها بأخرى جديدة للضيوف الجدد. أفبعد هذا يبقى لديك شك في مَن بنى هذا الفندق على قارعة هذه الطريق يملك قصوراً دائمة عالية، وله خزائن زاخرة ثمينة لا تنفد، وهو ذو سخاء دائم لا ينقطع. وان ما يبديه من الكرم في هذا الفندق هو لإثارة شهية ضيوفه الى ما عنده من اشياء، ولتنبيه رغباتهم وتحريكها لما أعدّ لهم من هدايا؟.

فان تأملت من خلال هذا المثال في أحوال فندق الدنيا هذه، وانعمت النظر فيها بوعي تام فستفهم الاسس التسعة الآتية:

الاساس الاول:

انك ستفهم ان هذه الدنيا ـ الشبيهة بذلك الفندق ـ ليست لذاتها. فمحال أن تتخذ لنفسها بنفسها هذه الصورة والهيئة. وانما

هـي دار ضيافـة تملأ وتفرغ، ومنزل حلّ وترحـال، أنشـئت بحكمـة لقافلة الموجودات والمخلوقات.

الأساس الثاني:

وستفهم ان ساكني هذا الفندق هم ضيوف مسافرون، وان ربهم الكريم يدعوهم الى دار السلام.

الاساس الثالث:

وستفهم ان التزيينات في هذه الدنيا ليست لأجل التلذذ والتمتع فحسب، اذ لو اذاقتك اللذة ساعة، اذاقتك الالم بفراقها ساعات وساعات، فهي تذيقك مثيرة شهيتك دون ان تشبعك، لقصر عمرها أو لقصر عمرك، اذ لا يكفي للشبع.

اذن فهذه الزينة الغالية الثمن والقصيرة العمر هي للعبرة(١)، وللشكر، وللحض على الوصول الى تناول اصولها الدائمة، ولغايات اخرى سامية.

---

(١) على الرغم من ان كل شيء دقيق الصنع بديع التصوير جميل التركيب هو غالٍ ونفيس، فان عمره قصير، ووجوده لا يستغرق الا زمناً يسيراً. فهو اذن نماذج وصور لأشياء اخرى ليس الا.

ولما كان هناك ما يشبه توجيه الانظار الى الحقائق الاصيلة، فلا غرابة اذن في ان يقال: ان زينة الحياة الدنيا ما هي الا نماذج لنعم الجنة التي هيأها الرب الرحيم بفضله ولطفه لمن أحب من عباده، بل الحقيقة هي هذه فعلاً. ـ المؤلف.

الاساس الرابع:

وستفهم ان هذه الزينة في الدنيا(١) بمثابة صور ونماذج للنعم المدّخرة لدى الرحمة الإلهية في الجنة للمؤمنين.

---

(١) نعم، ان لوجود كل شيء غايات، ولحياته اهداف ونتائج، فهي ليست بمنحصرة - كما يتوهم أهل الضلالة - على الغايات والمقاصد التي تتوجه الى الدنيا او التي تنحصر في الموجود نفسه، حتى يمكن ان يتسلل اليها العبث وعدم القصد. بل ان غايات وجود كل شيء ومقاصد حياته ثلاثة اقسام:
اولها: وهو أسماها وهو المتوجه الى صانعه سبحانه وتعالى. اي: عرض دقائق صنع كل شيء وبديع تركيبه امام انظار الشاهد الازلي سبحانه - بما يشبه الاستعراض الرسمي - حيث تكفي لذلك النظر حياة الشيء ولو للحظة واحدة. بل قد يكفيه استعداده لابراز قواه الكامنة - الشبيهة بنيته - ولّما يبرز الى الوجود. ومثاله: المخلوقات اللطيفة التي تزول بسرعة، والبذور التي لم يتسن لها اعطاء ثمارها وازاهيرها، تفيد هذه الغاية وتعبّر عنها تماماً، فلا يطرأ عليها عبث ولا انتفاء النفع البتة. اي ان اولى غايات كل شيء هو: اعلانه واظهاره - بحياته ووجوده - معجزات قدرة صانعه، وآثار صنعته، امام انظار عناية مليكه ذي الجلال.
والقسم الثاني: من غاية الوجود وهدف الحياة هو: التوجه الى ذوي الشعور أي ان كل شيء بمثابة رسالة ربانية زاخرة بالحقائق، وقصيدة تنضح لطفاً ورقة وكلمة تفصح عن الحكمة، يعرضها الباري عز وجل امام انظار الملائكة والجن والحيوان والانسان، ويدعوهم الى التأمل، اي ان كل شيء هو محل مطالعة وتأمل وعبرة لكل من ينظر اليه من ذوي الشعور.
القسم الثالث: من غاية الوجود وهدف الحياة هو: التوجه الى ذات نفسه: كالتمتع والتلذذ وقضاء الحياة والبقاء فيها بهناء، وغيرها من المقاصد الجزئية. فمثلاً: ان نتيجة عمل الملاّح في سفينة السلطان العظيمة تعود فائدتها اليه وهي اجرته، وهي بنسبة واحد في المائة، بينما تسع وتسعين بالمائة من نتائج السفينة تعود الى السلطان الذي يملكها.. وهكذا ان كانت الغاية المتوجهة الى كل شيء بذاته والى دنياه واحدة، =

الاساس الخامس:

وستفهم ان هذه المصنوعات الفانية ليست للفناء، ولم تخلق لتشاهَد حيناً ثم تذهب هباءً، وانما اجتمعت هنا، واخذت مكانها المطلوب لفترة قصيرة كي تُلتقط صورها، وتُفهم معانيها، وتُدوّن نتائجها، ولتُنسج لأهل الخلود مناظر أبدية دائمة ولتكون مداراً لغايات اخرى في عالم البقاء.

= فالغاية المتوجهة الى بارئه سبحانه هي تسع وتسعون.
ففي تعدد الغايات هذا يكمن سر التوفيق بين «الحكمة والجود» اي بين «الاقتصاد والسخاء المطلقين» اللذين يبدوان كالضدين والنقيضين. وتوضيح ذلك:
اذا لوحظت غاية بمفردها فان الجود والسخاء يسودان آنذاك، ويتجلى اسم «الجواد»، فالثمار والحبوب حسب تلك الغاية المفردة الملحوظة لا تعد ولا تحصى. أي انها تفيد جوداً مطلقاً وسخاء لا حصر له. اما اذا لوحظت الغايات كلها فان الحكمة هي التي تظهر وتهيمن، ويتجلى اسم «الحكيم». فتكون الحكَم والغايات المتوخاة من ثمرة لشجرة واحدة بعدد ثمار تلك الشجرة، فتتوزع هذه الغايات على الأقسام الثلاثة التي سبق ذكرها. فهذه الغايات العامة تشير الى حكمة غير نهائية، واقتصاد غير محدد، فتجتمع الحكمة المطلقة مع الجود المطلق اللذان يبدوان كالضدين.
ومثلاً: ان احدى الغايات من الجيش هي المحافظة على الأمن والنظام، فاذا نظرت الى الجيش بهذا المنظار فسترى ان هناك عدداً فوق المطلوب منه. اما اذا نظرنا اليه مع اخذنا الغايات الاخرى بنظر الاعتبار كحفظ الحدود، ومجاهدة الاعداء وغيرها، عند ذلك نرى ان العدد يكاد يفي بالحد المطلوب... فهو اذن توازن دقيق بميزان الحكمة. اذ تجتمع «حكمة» الحكومة مع «عظمتها». وهكذا يمكن القول في هذه الحالة: أن الجيش ليس فوق الحد المطلوب. ـ المؤلف.

ويفهم من المثال الآتي، كيف ان هذه الاشياء لم تخلق للفناء بل للبقاء، بل ان فناءها الظاهري ليس الاّ اطلاقاً لسراحها بعدما انهت مهامّها، وكيف أن الشئ يفنى من جهة الا انه يبقى من جهات كثيرة:

تأمل في هذه الزهرة ــ وهي كلمة من كلمات القدرة الإلهية ـ انها تنظر الينا مبتسمة لنا لفترة قصيرة، ثم تختفي وراء ستار الفناء. فهي كالكلمة التي نتفوه بها، التي تودع آلافاً من مثيلاتها في الآذان وتبقى معانيها بعدد العقول المنصتة لها، وتمضي بعد أن أدت وظيفتها، وهي افادة المعنى. فالزهرة ايضاً ترحل بعد أن تودع في ذاكرة كل من شاهدها صورتها الظاهرة، وبعد ان تودع في بذيراتها ماهيتها المعنوية، فكأن كل ذاكرة وكل بذرة، بمثابة صور فوتوغرافية لحفظ جمالها وصورتها وزينتها، ومحل ادامة بقائها.

فلئن كان المصنوع وهو في أدنى مراتب الحياة يعامل مثل هذه المعاملة للبقاء، فما بالك بالانسان الذي هو في أسمى طبقات الحياة، والذي يملك روحاً باقية، ألا يكون مرتبطاً بالبقاء والخلود؟ ولئن كانت صورة النبات المزهر المثمر، وقانون تركيبه ـ الشبيه جزئياً بالروح ـ باقية ومحفوظة في بُذيراتها بكل انتظام، في خضم التقلبات الكثيرة، أفلا يُفهم كم تكون روح الانسان باقية، وكم تكون

مشدودة مع الخلود، علماً انها قانون أمري، وذات شعور نوراني، تملك ماهية راقية، وذات حياة، وذات خصائص جامعة شاملة، وقد أُلبست وجوداً خارجياً؟!

الاساس السادس:

وستفهم ان الانسان لم يترك حبله على غاربه، ولم يترك طليقاً ليرتع اينما يريد، بل تُسجّل جميع اعماله وتُلتقط صورها، وتدوّن جميع أفعاله ليحاسب عليها.

الاساس السابع:

وستفهم أن الموت والاندثار الذي يصيب في الخريف مخلوقات الربيع والصيف الجميلة، ليس فناءً نهائياً، واعداماً أبدياً، وانما هو اعفاء من وظائفها بعد اكمالها وإيفائها، وتسريح منها(١)، وهو افساح مجالٍ وتخليةُ مكانٍ لما سيأتي في الربيع الجديد من

(١) نعم، لا بد من زوال الثمار والازهار والاوراق المحمولة على اغصان ورؤوس الاشجار ـ التي هي خزينة الارزاق للرحمة الالهية ـ بعد ان أدت وظيفتها وهرمت، كيلا يوصد الباب امام ما يسيل وراءها ويخلفها، والأ صارت سداً منيعاً أمام سعة الرحمة وحائلاً امام مهام اخواتها، فضلاً عن انها هي نفسها تذوي وتذبل بزوال شبابها. وهكذا، فالربيع أشبه بتلك الشجرة المثمرة، المُظهرة للحشر. وعالم الانسان ـ في كل عصر ـ هو شجرة مثمرة ذات حكمة وعبرة، والارض جميعاً شجرة قدرةٍ بديعةٍ والدنيا كذلك شجرة رائعة ترسل ثمارها الى سوق الآخرة. ـ المؤلف.

مخلوقات جديدة. فهو تهيؤ وتهيأة لما سيحل من الموجودات المأمورة الجديدة.

وهو تنبيه رباني لذوي المشاعر الذين أنستهم الغفلة مهامهم، ومنعهم السُكر عن الشكر.

الاساس الثامن:

وستفهم ان الصانع السرمدي لهذا العالم الفاني له عالم غير هذا، وهو عالم باقٍ خالد، ويشوّق عباده اليه، ويسوقهم اليه.

الاساس التاسع:

وستفهم ان الرحمن الرحيم جل جلاله سوف يكرم في ذلك العالم الفسيح عباده المخلصين بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. آمنا.

الحقيقة السابعة

باب الحفظ والحفيظية

وهو تجلي اسم «الحفيظ والرَّقيب»

أمن الممكن لحفيظ ورقيب يحفظ بانتظام وميزان ما في السماء والارض، وما في البر والبحر، من رطب ويابس فلا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً الا احصاها، ان لا يحافظ ولا يراقب اعمال الانسان الذي

يملك فطرة سامية، ويشغل رتبة الخلافة في الارض، ويحمل مهمة الامانة الكبرى؟. فهل يمكن ان لا يحافظ على افعاله التي تمس الربوبية؟ ولا يفرزها بالمحاسبة؟ ولا يزنها بميزان العدالة؟ ولا يجازي فاعلها بما يليق به من ثواب وعقاب؟. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

نعم، ان الذي يدير امر هذا الكون هو الذي يحافظ على كل شئ فيه ضمن نظام وميزان. والنظام والميزان هما مظهران من مظاهر العلم والحكمة مع الارادة والقدرة، لاننا نُشاهد أن أيّ مصنوع كان لم يُخلق ولا يُخلق الاّ في غاية الانتظام والميزان، وان الصور التي يغيّرها طوال حياته في انتظام دقيق كما أن مجموعها ايضاً ضمن نظام متقن محكم. ونرى ايضاً ان الحفيظ ذا الجلال يحفظ صور كل شئ حالما يختم عمره مع انتهاء وظيفته ويرحل من عالم الشهادة، يحفظها سبحانه في الاذهان التي هي أشبه ما تكون بالالواح المحفوظة(١) وفي ما تشبه بمرايا مثالية، فيكتب معظم تاريخ حياته في بذوره وينقشه نقشاً في ثماره، فيديم حياته ويحفظها في مرايا ظاهرة وباطنة..فذاكرة البشر، وثمر الشجر، ونواة الثمر، وبذر الزهر.. كل ذلك يبين عظمة احاطة الحفيظية.

---

(١) انظر حاشية الصورة السابعة . ـ المؤلف.

ألا ترى كـيف يُحـافَظ على كـل شئ مزهر ومـثـمر فـي الربيع الشاسع العظيم، وكيف يُحافظ على جميع صـحائف اعماله الخاصة به، وعلى جميع قوانين تركيبه ونماذج صوره، كتابةً في عدد محدود من البُذيرات. حتى اذا مـا أقبل الربيـع تُنشـر تلك الصـحـائف وفق حساب دقـيق يناسبـهـا فيـخرج الى الوجـود ربيـعاً هائلاً في غـاية الانتظام والحكمـة؟ ألا يبين هذا مدى نفـوذ الحفظ والرقـابة، ومدى قوة احـاطتهمـا الشاملة؟ فلئن كـان الحفظ الى هذا الحـد من الاتقان والاحاطة فيـما لا أهمية له وفي أشيـاء مؤقتة عادية، فـهل يُعقل عدم الاحتفـاظ بأعمال البشر، التي لهـا ثمار مهمة في عـالم الغيب وعالم الآخرة وعـالم الأرواح، ولدى الربوبية المطلقـة؟! فهل يمكن اهمـالها وعدم تدوينها؟ حاش للّه...

نعم، يـفـهم من تجلي هـذه الحـفـيظيـة، وعلـى هذه الصـورة الواضـحة، ان لمالك هذه الموجـودات عناية بالغـة لتسـجـيل كل شئ وحـفظه، وضبطِ كـل مـا يجـري في ملكه، وله منتـهى الرعـاية في حـاكمـيتـه، ومنتـهى العناية في سلطنة ربوبيتـه، بحيث انه يكتب ويستكتب أدنى حادثة وأهون عمل محتفظاً بصور كل ما يجري في

ملكه في محافظَ كثيرة. فهذه المحافظة الواسعة الدقيقة تدل على انه سيُفتح بلاشك سجلٌ لمحاسبة الاعمال، ولاسيما لهذا المخلوق المكرّم والمعزّز والمفطور على مزايا عظيمة، ألا وهو الانسان. فلابدّ ان تدخل اعماله التي هي عظيمة، وافعاله التي هي مهمة ضمن ميزان حساس ومحاسبة دقيقة، ولابد ان تُنشر صحائف اعماله.

فيا ترى هل يقبل عقل بأن يُترك هذا الانسان الذي أصبح مكرّماً بالخلافة والامانة، والذي ارتقى الى مرتبة القائد والشاهد على المخلوقات، بتدخله في شؤون عبادة أغلب المخلوقات وتسبيحاته باعلانه الوحدانية في ميادين المخلوقات الكثيرة وشهوده شؤون الربوبية الكلية.. فهل يمكن ان يُترك هذا الانسان، يذهب الى القبر لينام هادئاً دون أن ينبّه ليُسأل عن كل صغيرة وكبيرة من اعماله، ودون ان يُساق الى المحشر ليحاكم في المحكمة الكبرى؟ كلاّ ثم كلاّ!.

وكيف يمكن ان يَذهب هذا الانسان الى العدم، وكيف يمكن ان يتوارى في التراب فيفلت من يد القدير ذي الجلال الذي تشهد جميع الوقائع التي هي معجزات قدرته في الازمنة الغابرة على قدرته

العظيمة لما سيحدث من الممكنات في الازمنة(١) الآتية. تلك

(١) ان الماضي الممتد منذ الان الى بدء الخليقة مليء بالوقائع والاحداث، فكل يوم ظهر الى الوجود منه سطر، وكل سنة منه صحيفة، وكل عصر منه كتاب، رسمه قلم القدر، وخطت فيه يد القدرة آياتها المعجزة بكل حكمة وانتظام. وان المستقبل الذي يمتد من الآن الى يوم القيامة، والى الجنة، والى الابد، انما هو ضمن الممكنات، أي: كما ان الماضي هو وقائع وقعت فعلا، فالمستقبل كذلك ممكنات يمكن ان تقع فعلاً. واذا قوبلت سلستا هذين الزمانين فلا ريب في ان الذي خلق الأمس بما فيه من الموجودات قادر على خلق الغد بما سيكون فيه من الموجودات، ولا ريب كذلك ان موجودات وخوارق الزمن الماضي الذي هو معرض العجائب والغرائب هي معجزات القدير ذي الجلال وهي تشهد شهادة قاطعة على: انه سبحانه وتعالى قادر على ان يخلق المستقبل كله، وما فيه من الممكنات كلها، وان يعرض فيه عجائبه ومعجزاته كافة.

نعم، فكما ان الذي يقدر على خلق تفاحة واحدة لابد ان يكون قادراً على خلق تفاح العالم جميعاً، بل على ايجاد الربيع الكبير. اذ من لا يقدر على خلق الربيع لا يمكن ان يخلق تفاحة، لأن تلك التفاحة تنسج في ذلك المصنع. ومن يقدر على خلق تفاحة واحدة فهو اذن قادر على خلق الربيع فالتفاحة مثال مصغر للشجرة، وللحديقة، بل هي مثال الكائنات جميعا. والتفاحة من حيث الصنعة والاتقان هي معجزة الصنعة، حيث تتضمن بذورها تاريخ حياة شجرتها. فالذي يخلقها خلقا بديعا كهذا لا يعجزه شيء مطلقا.

وهكذا، فالذي يخلق اليوم هو قادر على خلق يوم القيامة، والذي يحدث الربيع قادر على احداث الحشر، والذي اظهر عوالم الماضي وعلقها على شريط الزمان ـ بكل حكمة وانتظام ـ لاشك انه يقدر على ان يظهر عوالم اخرى ويعلقها بخيط المستقبل، وسيظهرها حتماً. وقد أثبتنا بشكل قاطع في كثير من (الكلمات) ولا سيما في (الكلمة الثانية والعشرين) بأن «من لا يخلق كل شئ لا يقدر على خلق شئ. ومن يخلق شيئاً واحداً يقدر على ان يخلق كل شيء. وكذلك لو احيل ايجاد الاشياء الى ذات واحدة لسهلت الاشياء كلها كالشيء الواحد، ولو اسند الى الاسباب المتعددة والى الكثرة لأصبح ايجاد الشيء الواحد صعبا بمقدار ايجاد الاشياء كلها الى درجة الامتناع والمحال» ـ المؤلف.

القدرة التي تحدث الشتاء والربيع الشبيهين بالقيامة والحشر؟ ولما كان الانسان لا يحاسَب في هذه الدنيا حساباً يستحقه، فلابدّ انه سيذهب يوماً الى محكمة كبرى وسعادة عظمى.

الحقيقة الثامنة

باب الوعد والوعيد

وهو تجلي اسم «الجميل والجليل»

أمن الممكن لمبدع هذه الموجودات وهو العليم المطلق والقدير المطلق ألاّ يوفي بما أخبر به مكرراً الانبياء عليهم السلام كافة بالتواتر من وعد ووعيد، وشهد به الصدّيقون والاولياء كافة بالاجماع، مُظهراً عجزاً وجهلاً بذلك؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. علماً ان الأمور التي وعد بها، وأوعدها، ليست عسيرة على قدرته قطعاً، بل هي يسيرة وهينة، وسهلة كسهولة اعادة الموجودات التي لا تحصى للربيع السابق بذواتها(١) أو بمثلها(٢) في الربيع المقبل. أما الوفاء بالوعد فكما هو ضروري لنا ولكل شئ ضروري كذلك لسلطنة ربوبيته. بعكس اخلاف الوعد فهو مضاد لعزة قدرته، ومناف

(١) كجذور وأصول الاعشاب والاشجار. ـ المؤلف.

(٢) كالاوراق والثمار. ـ المؤلف.

لإحاطة علمه، حيث لا يتأتى اخلاف الوعد الا من الجهل أو العجز.

فيا أيها المنكر! هل تعلم مدى حماقة ما ترتكب من جناية عظمى بكفرك وانكارك! انك تصدّق وهمَك الكاذب وعقلك الهاذي ونفسَك الخدّاعة، وتكذّب مَن لا يضطر الى اخلاف الوعد، ولا الى خلافه ابداً، بل لا يليق الاخلاف بعزته وعظمته قطعاً. وان جميع الاشياء وجميع المشهودات تشهد على صدقه وأحقيته!!.. انك ترتكب اذن جناية عظمى لا نهاية لها مع صغرك المتناهي، فلا جرم انك تستحق عقاباً عظيماً أبدياً.. ولقياس عِظَم ما يرتكبه الكافر من جناية فقد وَرَد ان ضرس بعض اهل النار كالجبل(١).. ان مَثَلك هو كمثَل ذلك المسافر الذي يغمض عينيه عن نور الشمس ويتبع ما في عقله من خيال، ثم يريد أن ينوّر طريقه المخيف بضياء ما في عقله من بصيص كنور اليراعة!.

فما دام الله سبحانه قد وعد، وهذه الموجودات كلماته الصادقة بالحق، وهذه الحوادث في العالم آياته الناطقة بالصدق، فانه سيوفي بوعده حتماً، وسيفتح محكمة كبرى، وسيهب سعادة عظمى.

---

(١) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ان ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاث. رواه مسلم (٢١٨٩/٤) ـ المترجم.

الحقيقة التاسعة

باب الإحياء والاماتة

وهو تجلي اسم «الحي القيوم والمحيي والمميت»

أمن الممكن للذي اظهر قدرتَه باحياء الأرض الضخمة بعد موتها وجفافها، وبعث اكثر من ثلاثمائة ألف نوع من انوع المخلوقات، مع ان بعث كل نوع عجيب كأعجوبة بعث البشر.. والذي اظهر احاطةَ علمه ضمن ذلك الإحياء بتمييزه كل كائن من بين ذلك الامتزاج والتشابك.. والذي وجّه انظار جميع عباده الى السعادة الأبدية بوعدهم الحشر في جميع أوامره السماوية.. والذي اظهر عظمة ربوبيته بجعله الموجودات متكاتفة مترافقة، فادارها ضمن أمره وارادته، مسخراً أفرادها، معاوناً بعضها بعضاً.. والذي أولى البشر الاهمية القصوى، بجعله أجمع ثمرة في شجرة الكائنات، وألطفها وأشدها رقةً ودلالاً، واكثرها مستجاباً للدعاء، مسخراً له كل شئ، متخذاً اياه مخاطباً.. أفمن الممكن لمثل هذا القدير الرحيم ولمثل هذا العليم الحكيم الذي أعطى هذه الأهمية للانسان ان لا يأتي بالقيامة؟ ولا يحدث الحشر ولا يبعث البشر، أو يعجز عنه؟ وان يعجز عن فتح أبواب المحكمة الكبرى وخلق الجنة والنار؟!. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

نعم، ان الرب المتصرف في هذا العالم جلّ جلاله يُحدث في هذه الأرض المؤقتة الضيقة في كل عصر وفي كل سنة وفي كل يوم نماذج وأمثلة كثيرة واشارات عديدة للحشر الاكبر. فعلى سبيل المثال:

انه يحشر في بضعة ايام في حشر الربيع ويبعث اكثر من ثلاثمائة ألف نوع من أنواع النباتات والحيوانات من صغير وكبير، فيحيي جذور الاشجار والاعشاب، ويعيد بعض الحيوانات بعينها كما يعيد أمثال بعضها الآخر. ومع أن الفروق المادية بين البُذيرات المتناهية في الصغر جزئية جداً، الا أنها تُبعث وتُحيا بكل تميّز، وتشخّص في منتهى السرعة في ستة ايام، أو ستة أسابيع، وفي منتهى السهولة والوفرة، وبانتظام كامل وميزان دقيق، رغم اختلاطها وامتزاجها. فهل يصعب على من يقوم بمثل هذه الاعمال شئ، أو يعجز عن خلق السموات والارض في ستة أيام، أولا يستطيع ان يحشر الانسان بصيحة واحدة؟.. سبحان الله عما يصفون.

فيا ترى ان كان ثمة كاتبٌ ذو خوارق يكتب ثلاثمائة ألف كتاب مُسحت حروفُها ومُسخت، في صحيفة واحدة دون اختلاط ولا سهو ولا نقص، وفي غاية الجمال، ويكتبها جميعاً معاً خلال ساعة واحدة. وقيل لك: ان هذا الكاتب سيكتب من حفظه في

دقيقة واحدة كتابك الذي وقع في الماء وهو من تأليفه. فهل يمكنك أن ترد عليه وتقول: لا يستطيع. لا أصدق؟!.. أو أن سلطاناً ذا معجزات يرفع الجبال وينسفها ويغير المدن بكاملها ويحول البحر براً، باشارة منه، اظهاراً لقدرته وجعلها آية للناس.. فبينما ترى منه هذه الاعمال اذا بصخرة عظيمة قد تدحرجت الى وادٍ وسدّت الطريق على ضيوفه، وقيل لك: ان هذا السلطان سيميط حتماً تلك الصخرة من على الطريق ويحطمها مهما كانت كبيرة، حيث لا يمكن ان يدع ضيوفه في الطريق.. كم يكون جوابك هذياناً أو جنوناً اذا ما أجبته بقولك: لا، لا يستطيع أن يفعل؟!!.. أو أن قائداً يمكنه أن يجمع من جديد افراد جيشه الذي شكله بنفسه في يوم واحد. وقيل لك: ان هذا سيجمع افراد تلك الفرق وسينضوي تحت لوائه أولئك الذين سرّحوا وتفرّقوا، بنفخة من بوق، فأجبته: لا، لا اصدق!. عندها تفهم أن جوابك هذا ينبئ عن تصرف جنوني، أيّ جنون!!

فاذا فهمت هذه الأمثلة الثلاثة فتأمل في ذلكم البارئ المصور سبحانه وتعالى الذي يكتب امام انظارنا باحسن صورة واتمها بقلم القدرة والقدر اكثر من ثلاثمائة الف نوع من الانواع على صحيفة الارض، مبدلاً صحيفة الشتاء البيضاء الى الاوراق المتفتحة للربيع

والصيف، يكتبها متداخلة دون اختلاط، يكتبها معاً دون مزاحمة ولا التباس، رغم تباين بعضها مع البعض الآخر في التركيب والشكل. فلا يكتب خطأ مطلقاً. أفيمكن ان يُسال الحفيظ الحكيم الذي أدرج خطة روح الشجرة الضخمة ومنهاجها في بذرة متناهية في الصغر محافظاً عليها، كيف سيحافظ على ارواح الاموات؟. أم هل يمكن أن يُسأل القدير ذو الجلال الذي يُجري الارض في دورتها بسرعة فائقة، كيف سيزيلها من على طريق الآخرة، وكيف سيدمّرها؟ أم هل يمكن أن يُسأل ذو الجلال والاكرام الذي أوجد الذرات من العدم ونسّقها بأمر «كُنْ فَيَكُونُ» في أجساد جنود الاحياء، فأنشأ منها الجيوش الهائلة، كيف سيجمع بصيحة واحدة تلك الذرات الاساسية التي تعارفت فيما بينها، وتلك الاجزاء الاساسية التي انضوت تحت لواء فرقة الجسد ونظامه؟

فها أنت ذا ترى بعينيك كم من نماذج وأمثلة وامارات للحشر شبيهة بحشر الربيع، قد أبدعها الباري سبحانه وتعالى في كل موسم، وفي كل عصر، حتى ان تبديل اللّيل والنّهار، وانشاء السحاب الثقال وافناءها من الجو، نماذج للحشر وأمثلة وامارات عليه.

واذا تصورت نفسك قبل ألف سنة مثلاً، وقابلت بين جناحي

الزمان الماضي والمستقبل، ترى أمثلة الحشر والقيامة ونماذجها بعدد العصور والايام.

فلو ذهبت الى استبعاد الحشر الجسماني وبعث الاجساد متوهماً انه بعيد عن العقل ، بعد ما شاهدت هذا العدد الهائل من الأمثلة النماذج، فستعلم انت كذلك مدى حماقة من ينكر الحشر.

تأمل ماذا يقول الدستور الاعظم حول هذه الحقيقة:

﴿فَانْظُرِ الى آثَارِ رَحْمَتِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا انَّ ذلكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾ (الروم: ٥٠)

الخلاصة: لا شئ يحول دون حدوث الحشر، بل كل شئ يقتضيه ويستدعيه. نعم! ان الذي يحيي هذه الارض الهائلة وهي معرض العجائب ويميتها كأدنى حيوان، والذي جعلها مهداً مريحاً وسفينة جميلة للانسان والحيوان، وجعل الشمس ضياءً وموقداً لهذا المضيف، وجعل الكواكب السيّارة والنجوم اللامعة مساكن طائرات للملائكة.. ان ربوبية خالدة جليلة الى هذا الحدّ، وحاكمية محيطة عظيمة الى هذه الدرجة، لا تستقران ولا تنحصران في أمور الدنيا الفانية الزائلة الواهية السيالة التافهة المتغيرة. فلابد أن هناك داراً اخرى باقية، دائمة، جليلة، عظيمة، مستقرة، تليق به سبحانه فهو

يسوقنا الى السعي الدائب لأجل تلك الممالك والديار ويدعونا اليه وينقلنا الى هناك. يشهد على هذا اصحاب الأرواح النيرة، وأقطاب القلوب المنورة، وأرباب العقول النورانية، الذين نفذوا من الظاهر الى الحقيقة، والذين نالوا شرف التقرب اليه سبحانه. فهم يبلغوننا متفقين انه سبحانه قد أعد ثواباً وجزاءاً، وأنه يَعِد وعداً قاطعاً، ويوعد وعيداً جازماً..

فاخلاف الوعد لا يمكن أن يدنو الى جلاله المقدّس، لأنه ذلّة وتذلل. وأما اخلاف الوعيد فهو ناشئ من العفو أو العجز. والحال أن الكفر جناية مطلقة(١) لا يستحق العفو والمغفرة. اما القدير المطلق فهو قدوس منزّه عن العجز، وأما المخبرون والشهود فهم متفقون اتفاقاً كاملاً على اساس هذه المسألة رغم اختلاف مسالكهم ومناهجهم ومشاربهم. فهم من حيث الكثرة بلغوا درجة التواتر، ومن حيث

(١) نعم ان الكفر اهانة وتحقير للكائنات جميعاً، حيث يتهمها بالعبثية وانتفاء النفع. وهو تزييف تجاه اسماء الله الحسنى، لأنه ينكر تجلي تلك الاسماء على مرايا الموجودات. وهو تكذيب للمخلوقات جميعاً حيث يردّ شهادة الموجودات على الوحدانية. لذا فانه يفسد قوى الانسان واستعداداته الى درجة يسلب منه القدرة على تقبل الخير والصلاح. فالكفر اذن ظلم عظيم جداً، اذ هو تجاوز لحقوق جميع المخلوقات، ولجميع الاسماء الحسنى، لذا فحفاظاً على هذه الحقوق، ولعدم تمكن نفس الكافر من قبول الخير، اقتضى حرمانه من العفو. والآية الكريمة: ﴿ان الشرك لظلم عظيم﴾ تفيد هذا المعنى. ـ المؤلف.

النوعيـة بلغـوا قوة الاجـمـاع، ومن حـيث المنزلة فـهم نجوم البـشـرية وهداتها وأعـزة القوم وقرة عيـون الطوائف. ومن حيث الأهميـة فهم في هذه المسـألـة «أهل اخـتـصـاص وأهل اثبـات». ومن المعلوم ان حكم اثنين من أهل الاختصاص في علم أو صنعة يرجّح على آلاف من غـيرهم، وفي الاخـبار والرواية يرجح قـول اثنين من المثبـتين على آلاف من النافين المنكرين، كما في اثبات رؤية هلال رمضان، حيث يرجّح شاهدان مثبتان، بينما يضـرب بكلام آلاف من النافين عرض الحائط.

والخلاصة: لا خبر اصدق من هذا في العـالم، ولا قضية أصوب منها، ولا حقيقة اظهر منها ولا اوضح.

فالدنيا اذن مزرعة بلا شك، والمحشر بيدر، والجنة والنار مخزنان.

الحقيقة العاشرة

باب الحكمة والعناية والرحمة والعدالة

وهو تجلي اسم «الحكيم والكريم والعادل والرّحيم»

أمن الممكن لمالك الملـك ذي الجلال الذي أظهـر في دار ضـيافـة الدنيـا الفانيـة هذه، وفي ميـدان الامتحـان الزائل هذا، وفي مـعرض

الارض المتبدل هذا، هذا القدر من آثار الحكمة الباهرة، وهذا المدى من آثار العناية الظاهرة، وهذه الدرجة من آثار العدالة القاهرة، وهذا الحد من آثار الرحمة الواسعة! ثم لا ينشئ في عالم ملكه وملكوته مساكن دائمة، وسكنة خالدين، ومقامات باقية، ومخلوقات مقيمين. فتذهب هباءاً منثوراً جميع الحقائق الظاهرة لهذه الحكمة، ولهذه العناية، ولهذه العدالة، ولهذه الرحمة؟.

وهل يعقل لحكيم ذي جلال اختار هذا الانسان من بين المخلوقات، وجعله مخاطباً كلياً له، ومرآة جامعة لأسمائه الحسنى، ومقدّراً لما في خزائن رحمته من ينابيع، ومتذوقاً لها ومتعرفاً اليها، الذي عرّف سبحانه ذاته الجليلة له بجميع أسمائه الحسنى، فأحبه وحبّبه اليه.. أفمن المعقول بعد كل هذا ان لا يُرسل ذلك «الحكيم» جل وعلا هذا الانسان المسكين الى مملكته الخالدة تلك؟ ولا يسعده في تلك الدار السعيدة بعد أن دعاه اليها؟؟

أم هل يعقل أن يحمّل كل موجود وظائف جمّة - ولو كان بذرة - بثقل الشجرة، ويركّب عليه حِكَماً بعدد أزهارها، ويقلّده مصالح بعدد ثمارها، ثم يجعل غاية وجود تلك الوظائف والحكم والمصالح جميعها مجرّد ذلك الجزء الضئيل المتوجه الى الدنيا. أي يجعل غاية الوجود هي البقاء في الدنيا فقط، الذي لا أهمية له حتى بمثقال حبة

من خردل؟ ولا يجعل تلك الوظائف والحِكَم والمصالح بذوراً لعالم المعنى، ولا مزرعة لعالم الآخرة لتثمر غاياتها الحقيقية اللائقة بها.

وهل يعقل ان تذهب جميع هذه المهرجانات الرائعة والاحتفالات العظيمة هباءً بلا غاية، وسدى بلا معنى وعبثاً بلا حكمة؟!

أم هل يعقل ان لا يوجّه كلها الى عالم المعنى وعالم الآخرة لتظهر غاياتُها الأصيلة وأثمارُها الجديدةُ بها؟!

نعم! أمن الممكن ان يظهر كل ذلك خلافاً للحقيقة، خلافاً لأوصافه المقدّسة وأسمائه الحسنى: «الحكيم، الكريم، العادل، الرحيم» كلا.. ثم كلا.

أم هل من الممكن أن يكذِّب سبحانه حقائقَ جميع الكائنات الدالة على أوصافه المقدّسة من حكمةٍ وعدلٍ وكرمٍ ورحمة، ويردّ شهادة الموجودات جميعاً، ويبطل دلائل المصنوعات جميعاً! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وهل يقبل العقل أن يعطي للانسان اجرة دنيوية زهيدة، زهادة شعرة واحدة، مع انه اناط به وبحواسه مهاماً ووظائف هي بعدد شعرات رأسه؟ فهل يمكن ان يقوم بمثل هذا العمل الذي لا معنى له

ولا مغزى خلافاً لعدالته الحقة، ومنافاة لحكمته الحقيقة؟ سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً.

أوَ من الممكن أن يقلّد سبحانه كل ذي حياة، بل كل عضو فيه - كاللسان مثلاً - بل كل مصنوع، من الحِكم والمصالح بعدد أثمار كل شجرة مُظهراً حكمته المطلقة ثم لا يمنح الانسان البقاء والخلود، ولا يهب له السعادة الأبدية التي هي أعظم الحِكَم، وأهم المصالح، وألزم النتائج؟ فيترك البقاء واللقاء والسعادة الابدية التي جعلت الحكمة حكمة، والنعمة نعمةً، والرحمة رحمةً، بل هي مصدر جميع الحكم والمصالح والنعم والرحمة ومنبعها. فهل يمكن ان يتركها ويهملها ويسقط تلك الأمور جميعها الى هاوية العبث المطلق؟ ويضع نفسه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - بمنزلة من يبني قصراً عظيماً يضع في كل حجر فيه آلاف النقوش والزخارف، وفي كل زاوية فيه آلاف الزينة والتجميل، وفي كل غرفة فيه آلاف الآلات الثمينة والحاجيات الضرورية.. ثم لا يبني له سقفاً ليحفظه؟! فيتركه ويترك كل شئ للبلى والفساد! حاشَ للّه.. ان الخير يصدر من الخيّر المطلق، وان الجمال يصدر من الجميل المطلق، فلن يصدر من الحكيم المطلق العبث البتة.

نعم! انَّ كل من يمتطي التاريخ ويذهب خيالاً الى جهة الماضي

سيرى انه قد ماتت بعدد السنين منازلُ ومعارضُ وميادين وعوالمُ شبيهة بمنزل الدنيا وميدان الابتلاء ومعرض الاشياء في وقتنا الحاضر. فعلى الرغم مما يُرى من اختلاف بعضها عن البعض الآخر صورةً ونوعاً، فانها تتشابه في الانتظام والابداع وابراز قدرة الصانع وحكمته.

وسيرى كذلك ـ ما لم يفقد بصيرته ـ ان في تلك المنازل المتبدلة، وفي تلك الميادين الزائلة، وفي تلك المعارض الفانية.. من الأنظمة الباهرة الساطعة للحكمة، والاشارات الجليّة الظاهرة للعناية، والامارات القاهرة المهيمنة للعدالة، والثمار الواسعة للرحمة ما سيدرك يقيناً أنه:

لا يمكن ان تكون حكمةٌ اكملَ من تلك الحكمة المشهودة، ولا يمكن ان تكون عناية أروع من تلك العناية الظاهرة الآثار، ولا يمكن أن تكون عدالة أجلّ من تلك العدالة الواضحة أماراتها. ولا يمكن ان تكون رحمة اشمل من تلك الرحمة الظاهرة الثمار.

واذا أفتُرض المحال، وهو أن السلطان السرمدي ـ الذي يدير هذه الامور، ويغيّر هؤلاء الضيوف والمستضافات باستمرار ـ ليست له منازل دائمة ولا أماكن راقية سامية ولا مقامات ثابتة ولا مساكن

باقية ولا رعـايا خالدون، ولا عـبادٌ سـعداء فـي مملكته الخـالدة. يلزم عندئذٍ انكار الحقـائق الاربعة: (الحكمة والعدالة والعنايـة والرحمة) التي هي عناصـر قوية شاملـة كالنور، والهواء والماء والـتراب، وانكار وجـودها الظاهر ظهور تلك العنـاصر. لانه من المعلوم ان هذه الدنيـا وما فيها لا تفي لظهور تلك الحقائق، فلو لم يكن هناك في مكان آخر مـا هو اهل لهـا، فـيـجب انكار هذه الحكمـة الموجـودة في كل شئ أمـامنا ـ بجنون من ينكـر الشمـس الذي يملأُ نورها النهـار ـ وانكار هذه العنايـة التي نشـاهدها دائمـاً في أنفـسـنا وفي أغلب الاشـيـاء. وانكار هذه الـعـدالة الجليـة الظاهرة الامـارات(١). وانـكار هـذه الرحمـة التي نراها في كل مكان. وكذلك يلزم ان يعتبر صاحب ما نراه من الاجـراءات الحكيـمـة والافـعـال الكريمة، والآلاء الرحـيـمـة

---

(١) نعم، ان العدالة شقان احدهما ايجابي، والآخر سلبي.

اما الايجابي فـهو: اعطاء كل ذي حق حـقه. فـهـذا القسم من العـدالة محـيط وشامل لكل ما في هذه الدنيا لدرجـة البداهة. فكـمـا اثبتنا في «الحقـيـقة الثالثة» بان مـا يطلبه كل شيء وما هو ضـروري لوجوده وادامة حيـاته التي يطلبها بـلسان استعـداده وبلغة حـاجاته الفـطرية وبلسـان اضـطراره من الفاطر ذي الجـلال يأتيـه بميـزان خاص دقيق، وبمعايير ومقاييس معينة، اي ان هذا القسم من العدالة ظاهر ظهور الوجود والحياة.

أما القـسم السـلبي فهو: تـأديب غير المحـقين، أي احقاق الحق بانزال الجـزاء والعذاب عليـهم. فهـذا القـسم وان كان لا يظهـر بجلاء فـي هذه الدنيا الا ان هنالك اشـارات وامـارات تدل على هذه الحـقيـقة. خذ مثـلاً سوط العـذاب وصفـعات التـأديب التي نزلت بقوم عاد وثمـود بل بالاقوام المتمردة في عصرنا هـذا، مما يظهـر للحدس القطعي هيمنة العدالة السامية وسيادتها. ـ المؤلف.

(حاشَ لله ثم حاشَ لله) لاهياً لاعباً ظالماً غدّاراً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وما هذا الأ انقلاب الحقائق باضدادها، وهو منتهى المحال، حتى السوفسطائيون الذين انكروا وجود انفسهم لم يدنوا الى تصوّر هذا المحال بسهولة.

والخلاصة: أنه ليست هناك علاقة أو مناسبة بين ما يُشاهَد في شؤون العالم من تجمعات واسعة للحياة، وافتراقات سريعة للموت، وتكتلات ضخمة، وتشتتات سريعة، واحتفالات هائلة، وتجليات رائعة.. وبين ما هو معلوم لدينا من نتائج جزئية، وغايات تافهة مؤقتة، وفترة قصيرة تعود الى الدنيا الفانية. لذا فالربط بينهما بعلاقة، أو ايجاد مناسبة، لا ينسجم مع عقل ولا يوافق مع حكمة، اذ يشبه ذلك ربط حكَم هائلة وغايات عظيمة كالجبل بحصاة صغيرة جداً، وربط غاية تافهة جزئية مؤقتة ـ بحجم الحصاة ـ بجبل عظيم!!.

أي انّ عدم وجود هذه العلاقة بين هذه الموجودات وشؤونها وبين غاياتها التي تعود الى الدنيا، يشهد شهادة قاطعة، ويدل دلالة واضحة على ان هذه الموجودات متوجهة الى عالم المعنى، حيث تعطي ثمارها اللطيفة اللائقة هناك، وان انظارها متطلعة الى الاسماء الحسنى، وان غاياتها ترنو الى ذلك العالم. ومع ان بذورها مخبوءة تحت تراب الدنيا الأ ان سنابلها تبرز في عالم المثال. فالانسان ـ حسب استعداده ـ يزرع ويُزرع هنا ويحصد هناك في الآخرة.

نعم! لو نظرت الى وجوه الموجودات المتوجهة الى الاسماء الحسنى والى عالم الآخرة لرأيت:

ان لكل بذرة ـ وهي معجزة القدرة الإلهية ـ غايات كبيرة كبر الشجرة.

وان لكل زهرة ـ وهي كلمة الحكمة(١) ـ معاني جمّة بمقدار ازهار الشجر.

وان لكل ثمرة ـ وهي معجزة الصنعة وقصيدة الرحمة ـ من الحكَم ما في الشجرة نفسها. أما من جهة كونها أرزاقاً لنا فهي حكَمة واحدة من بين الوف الحكم، حيث أنها تنهي مهامها، وتوفي مغزاها فتموت وتدفن في معداتنا.

فما دامت هذه الاشياء الفانية تؤتي ثمارها في غير هذا المكان، وتودع هناك صوراً دائمة، وتعبّر عن معانٍ خالدة، وتؤتي اذكارها وتسابيحها الخالدة السرمدية هناك. فالانسان اذن يصبح انساناً حقاً مادام يتأمل وينظر الى تلك الوجوه المتوجهة نحو الخلود. وعنده يجد سبيلاً من الفاني الى الباقي.

اذن هناك قصد آخر ضمن هذه الموجودات المحتشدة والمتفرقة

(١) فان قلت: لمَ تورد اغلب الامثلة من الزهرة والبذرة والثمرة؟
الجواب: لانها ابدَع معجزات القدرة الإلهية واعجبها وألطفها. ولمّا عجز اهل الضلالة والطبيعة والفلسفة المادية من قراءة ما خطه قلم القدر والقدرة فيها من الكتابة الدقيقة، تاهوا وغرقوا فيها، وسقطوا في مستنقع الطبيعة الآسن.ـ المؤلف.

التي تسيل في خضم الحياة والموت، حيث ان احوالها تشبه ـ ولا مؤاخذة في الأمثال ـ احوالاً وأوضاعاً تُرتّب للتمثيل، فتنفق نفقات باهظة لتهيئة اجتماعات وافتراقات قصيرة، لأجل التقاط الصور وتركيبها لعرضها على الشاشة عرضاً دائماً.

وهكذا فان احدى غايات قضاء الحياة ـ الشخصية والاجتماعية ـ في فترة قصيرة في هذه الدنيا هي أخذ الصور وتركيبها، وحفظ نتائج الاعمال، ليحاسب امام الجمع الاكبر، وليعرض امام العرض الاعظم، وليهيأ استعداده ومواهبه للسعادة العظمى. فالحديث الشريف: (الدنيا مزرعة الآخرة)(١) يعبّر عن هذه الحقيقة.

وحيث أن الدنيا موجودة فعلاً، وفيها الآثار الظاهرة للحكمة والعناية والرحمة والعدالة، فالآخرة موجودة حتماً، وثابتة بقطعية ثبوت هذه الدنيا.

ولما كان كل شئ في الدنيا يتطلع من جهة الى ذلك العالم، فالسير اذن والرحلة الى هناك، لذا فان انكار الآخرة هو انكار للدنيا وما فيها.

وكما ان الأجل والقبر ينتظران الانسان، فان الجنة والنار كذلك تنتظرانه وتترصدانه.

---

(١) (الدنيا مزرعة الآخرة) قال في المقاصد: لم اقف عليه مع ايراد الغزالي له في الإحياء، وقال القاري قلت: معناه صحيح مقتبس من قوله تعالى ﴿من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه﴾.. عن كشف الخفاء للعجلوني ١٣٢٠ ـ المترجم.

الحقيقة الحادية عشرة

باب الانسانية

وهو تجلي اسم «الحق»

أمن الممكن للحق سبحانه وهو المعبود الحق ان يخلق هذا الانسان ليكون اكرمَ عبدٍ لربوبيته المطلقة، واكثر اهمية لربوبيته العامة للعالمين، واكثر المخاطبين ادراكاً وفهماً لأوامره السبحانية، وفي احسن تقويمٍ حتى اصبح مرآة جامعة لأسمائه الحسنى ولتجلي الاسم الاعظم ولتجلي المرتبة العظمى لكل اسم من هذه الاسماء الحسنى. وليكون أجملَ معجزات القدرة الإلهية، واغناها اجهزةً وموازينَ لمعرفة وتقدير ما في خزائن الرحمة الإلهية من كنوز، واكثرالمخلوقات فاقة وحاجة الى نعمه التي لا تحصى، واكثرها تألماً من الفناء، وأزيدها شوقاً الى البقاء، وأشدها لطافة ورقة وفقراً وحاجة. مع انه من جهة الحياة الدنيا اكثرها تعاسة، ومن جهة الاستعداد الفطري أسماها صورة.. فهل من الممكن ان يخلق المعبود الحق الانسانَ بهذه الماهية ثم لا يبعثه الى ما هو مؤهّل له ومشتاق اليه من دار الخلود؟! فيمحق الحقيقة الانسانية ويعمل ما هو منافٍ كلياً لأحقيته سبحانه؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً..

وهل يعقل للحاكم بالحق والرحيم المطلق الذي وهب لهذا الانسان استعداداً فطرياً سامياً يمكّنه من حمل الامانة الكبرى التي أبت السموات والارض والجبال ان يحملنها، أي خَلقَه ليعرف صفات خالقه سبحانه الشاملة المحيطة وشؤونه الكلية وتجلياته المطلقة، بموازينه الجزئية وبمهاراته الضئيلة.. والذي برأه بشكل ألطف المخلوقات واعجزها وأضعفها. فسخر له جميعها من نبات وحيوان، حتى نصبه مشرفاً ومنظماً ومتدخلاً في انماط تسبيحاتها وعباداتها.. والذي جعله نموذجاً ـ بمقاييس مصغّرة ـ للاجراءات الإلهية في الكون، ودلاّلاً لاعلان الربوبية المنزهة ـ فعلاً وقولاً ـ على الكائنات، حتى منحه منزلة اكرم من منزلة الملائكة، رافعاً اياه الى مرتبة الخلافة.. فهل يمكن ان يهب سبحانه للانسان كل هذه الوظائف ثم لا يَهَبَ له غاياتها ونتائجها وثمارها وهي السعادة الابدية؟ فيرميه الى درك الذلّة والمسكنة والمصيبة والاسقام، ويجعله أتعس مخلوقاته؟ ويجعل هذا العقل الذي هو هدية مباركة نورانية لحكمته سبحانه ووسيلة لمعرفة السعادة آلةَ تعذيب وشؤم، خلافاً لحكمته المطلقة، ومنافاة لرحمته المطلقة؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الخلاصة: كما اننا رأينا في الحكاية أن في هوية الضابط ودفتر

خدمته رتبته، ووظيفتـه ومرتّبه وأفعاله وعتاده، واتضح لدينا أن ذلك الضـابط لا يعمل لأجل هذا الميـدان المؤقت، بل لما سيـرحل اليـه من تكريم وإنعام في مملكة مستقرة دائمة.

كذلك فـان ما في هوية قلب الانسـان من لطائف، وما في دفتر عقله من حواس، وما في فطرته من اجهزة وعتاد متوجهة جميعاً ومعاً الى السعادة الابدية،بل ما منحت له الاّ لأجل تلك السعادة الأبدية. وهذا ما يتفق عليه أهل التحقيق والكشف.

فعلى سبيل المثال:

لو قـيل لقـدرة التـخـيل في الانسـان وهي أحـدى وسـائل العـقل وأحد مصوّريه: ستُمنح لكِ سلطنةَ الدنيـا وزينتها مع عمر يزيد على مليـون سنة ولـكن مـصيـركِ الى الفناء والعـدم حـتـمـاً. نراها تتـأوه وتتحسر. (ان لم يتدخل الوهم وهوى النفس).

أي ان أعظم فانٍ ـ وهو الدنيا وما فيـها ـ لا يمكنه ان يُشبع اصغر آلة في الانسان وهي الخيال!

يظهـر من هذا جليـاً ان هذا الانسـان الذي له هذا الاسـتـعـداد الفطـري والذي له آمــالٌ تمـتــد الى الابد، وافـكارٌ تحـيط بـالكون، ورغباتٌ تنتشر في ثنايا انواع السعادة الابدية. هذا الانسان انما خلق للابد وسيـرحل اليه حتمـاً. فليست هذه الدنيا الاّ مستضافاً مـؤقتاً، وصالة انتظار الآخرة.

الحقيقة الثانية عشرة

باب الرسالة والتنزيل

وهو تجلي «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمن الرَّحيم»

أمن الممكن لمن أيّد كلامَه جميعُ الأولياء الصالحين المعزّزين بكشفياتهم وكراماتهم، وشهد بصدقه جميعُ العلماء والأصفياء المستندين الى تدقيقاتهم وتحقيقاتهم.. ذلكم هو الرسول الكريم ﷺ الذي فتح بما أوتي من قوة طريقَ الآخرة وباب الجنة، مصَّدقاً بألفٍ من معجزاته الثابتة، وبآلاف من آيات القرآن الكريم الثابت اعجازُه بأربعين وجهاً. فهل من الممكن ان تسد اوهامٌ هي أوهى من جناح ذبابة ما فتحه هذا الرسول الكريم ﷺ من طريق الآخرة وباب الجنة؟!

☆☆☆

وهكذا لقد فُهم من الحقائق السابقة ان مسألة الحشر حقيقة راسخة قوية بحيث لا يمكن ان تزحزحها أيّة قوة مهما كانت حتى لو استطاعت أن تزيح الكرة الأرضية وتحطمها، ذلك لان الله سبحانه وتعالى يقرّ تلك الحقيقة بمقتضى اسمائه الحسنى جميعها

وصفاته الجليلة كلها. وان رسوله الكريم ﷺ يصدّقها بمعجزاته وبراهينه كلها. والقرآن الكريم يثبتها بجميع آياته وحقائقه. والكون يشهد لها بجميع آياته التكوينية وشؤونه الحكيمة.

فهل من المكن يا ترى ان يتفق مع واجب الوجود سبحانه وتعالى جميعُ الموجودات - عدا الكفار - في حقيقة الحشر، ثم تأتي شبهة شيطانية واهية ضعيفة لتزيح هذه الحقيقة الراسخة الشامخة وتزعزعها؟! كلاّ... ثم كلا...

ولا تحسبنّ ان دلائل الحشر منحصرة في ما بحثناه من الحقائق الاثنتي عشرة، بل كما ان القرآن الكريم وحده يعلّمنا تلك الحقائق، فانه يشير كذلك بآلاف من الأوجه والامارات القوية الى أن خالقنا سينقلنا من دار الفناء الى دار البقاء.

ولا تحسبنّ كذلك ان دلائل الحشر منحصرة فيما بحثناه من مقتضيات الاسماء الحسنى «الحكيم، الكريم، الرحيم، العادل، الحفيظ» بل ان جميعَ الاسماء الحسنى المتجلية في تدبير الكون تقتضي الآخرة وتستلزمها.

ولا تحسب ايضاً ان آيات الكون الدّالة على الحشر هي تلك التي ذكرناها فحسب، بل هناك آفاق وأوجه في اكثر الموجودات تفتح

وتتوجه يميناً وشمالاً، فمثلما يدل ويشهد وجه على الصانع سبحانه وتعالى يشير وجه آخر الى الحشر ويومئ اليه.

فمثلاً: ان حسن الصنعة المتقنة في خلق الانسان في احسن تقويم، مثلما هو اشارة الى الصانع سبحانه، فان ما فيه من قابليات وقوى جامعة، التي تزول في مدّة يسيرة، تشير الى الحشر. حتى اذا ما لوحظ وجهٌ واحدٌ فقط بنظرتين، فانه يدل على الصانع والحشر معاً.

فمثلاً: اذا لوحظت ماهيةُ ما هو ظاهرٌ في اغلب الاشياء من تنظيم الحكمة وتزيين العناية وتقدير العدالة ولطافة الرحمة، تبين انه صادرة من يد القدرة لصانع حكيم، كريم، عادل، رحيم. كذلك اذا لوحظت عظمة هذه الصفات الجليلة وقوتها وطلاقتها، مع قصر حياة هذه الموجودات في هذه الدنيا وزهادتها فان الآخرة تتبين من خلالها.

اي ان كل شئ يقرأ ويستقرئ بلسان الحال قائلاً:

امَنْتُ بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ

الخاتمة

ان الحقائق الاثنتي عشرة السابقة يؤيد بعضها البعض الآخر، وتكمل احداها الاخرى وتسندها وتدعمها، فتتبين النتيجة من مجموعها واتحادها معاً. فأي وهم يمكنه ان ينفذ من هذه الاسوار الاثنى عشر الحديد، بل الالماس المنيعة ليزعزع الايمان بالحشر المحصّن بالحصن الحصين؟

فالآية الكريمة ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ اِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (لقمان:٢٨) تفيد ان خلق جميع البشر وحشرهم سهل ويسير على القدرة الإلهية، كخلق انسان واحد وحشره. نعم، وهو هكذا حيث فصلت هذه الحقيقة في بحث «الحشر» من رسالة «نقطة من نور معرفة الله». الا اننا سنشير هنا الى خلاصتها مع ذكر الامثلة، ومن اراد التفصيل فليراجع تلك الرسالة.

فمثلاً: «ولله المثل الاعلى» ـ ولا جدال في الأمثال ـ ان الشمس مثلما تُرسل ـ ولو ارادياً ـ ضوءَها بسهولة تامة الى ذرة واحدة، فانها

ترسله بالسهولة نفسها الى جميع المواد الشفافة التي لا حصر لها، وذلك بسر «النورانية».

وان أخذ بؤبؤ ذرّة شفافة واحدة لصورة الشمس مساوٍ لأخذ سطح البحر الواسع لها، وذلك بسر «الشفافية».

وان الطفل مثلما يمكنه ان يحرك دُميَتَه الشبيهة بالسفينة، يمكنه أن يحرّك كذلك السفينة الحقيقية، وذلك بسرّ «الانتظام» الذي فيها.

وأن القائد الذي يسيّر الجندي الواحد بامر «سِر»، يسوق الجيش باكمله بالكلمة نفسها، وذلك بسرّ «الأمتثال والطاعة».

ولو افترضنا ميزاناً حساساً جداً في الفضاء، بحيث يتحسس وزن جوزة صغيرة في الوقت الذي يمكن ان توضع في كفتيه شمسان. ووجدت في الكفتين جوزتان أو شمسان، فان الجهد المبذول لرفع احدى الكفتين الى الأعلى والاخرى الى الاسفل هو الجهد نفسه، وذلك بسر «الموازنة».

فمـا دام اكبـر شئ يتسـاوى مع أصغره، وما لا يعـدّ من الاشـياء يظهـر كـالشـئ الواحـد في هذه المخلوقـات والممكنات الاعتيـادية ـ وهي ناقصـة فـانيـة ـ لما فـيهـا من (النورانيـة والشـفـافيـة والانتظام والامـتثـال والموازنة) فـلابدّ أنه يتسـاوى أمـام القدير المـطلق القليل والكثير، والصـغير والكبير، وحـشرُ فرد واحد وجميع الناس بصـيحة واحدة، وذلك بالتجليات « النورانية » المطلقة لقدرته الـذاتية المطلقة وهي في منتـهى الكمال، و « الشـفافيـة » و « النورانية » في ملكـوتية الاشياء، و « انتـظام » الحكمة والقدرة، و « امتـثال » الاشياء وطاعـتها لأوامره التكـوينية امتـثالاً كـاملاً، وبسر « مـوازنة » الامكان الذي هو تساوي الممكنات في الوجود والعدم.

ثم ان مراتـب القوة والضعف لشئ ما عبارة عن تداخل ضده فيه، فدرجات الحـرارة ـ مثلاً ـ ناتجة من تداخل البرودة، ومـراتب الجمال متولـدة من تداخل القبح، وطبقات الضـوء من دخول الظلام. اِلاّ انّ الشئ ان كان ذاتياً غير عـرضي، فلا يمكن لضده أن يدخل فيه، واِلا لزم اجتمـاع الضدين وهو مـحـال. أي أنه لا مراتـب فيمـا هو ذاتي

وأصيل. فما دامت قدرة القدير المطلق ذاتية، وليست عرضية كالممكنات، وهي في كمال المطلق، فمن المحال اذن أن يطرأ عليها العجزُ الذي هو ضده. أي ان خلق الربيع بالنسبة لذي الجلال هيّن كخلق زهرة واحدة، وبعث الناس جميعاً سهل ويسير عليه كبعث فرد منهم، بخلاف ما اذا أُسند الامرُ الى الاسباب المادية، فعندئذٍ يكون خلقُ زهرةٍ واحدة صعباً كخلق الربيع.

☆☆☆

وكل ما تقدّم من الامثلة والايضاحات ـ منذ البداية ـ لصور الحشر وحقائقه ما هي اِلاّ من فيض القرآن الكريم، وما هي اِلا لتهيئة النفس للتسليم والقلب للقبول؛ اذ القول الفصل للقرآن الكريم والكلام كلامه، والقول قوله، فلنستمع اليه∴ فلله الحجّة البالغة...

﴿فانظر الى آثار رَحمتِ الله كيف يُحيي الأرضَ بعدَ موتِها إنّ ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ (الروم: ٥٠)

﴿قال مَن يحيي العظام وهي رميم۞ قل يحييها الذي انشأها أول مرة وهو بكل خلقٍ عليم﴾ (يس:٧٨،٧٩)

﴿ يا أيها الناسُ اتقوا ربكمْ ان زلزلة الساعَة شيءٌ عظيمٌ۞ يوم تَرونَها تَذهَل كلّ مرضعةٍ عما أرضعت وتضعُ كلّ ذات حملٍ حَملها وترى الناسَ سُكارى وما هم بِسكارى ولكنّ عذاب اللهِ شديدٌ ﴾ (الحج: ١ - ٢)

﴿ اللهُ لا الهَ الاّ هو ليجمَعَنّكُمْ الى يوم القيامَةِ لا ريبَ فيهِ ومن اصدَقُ من اللهِ حَديثاً ﴾ (النساء:٨٧)

﴿ ان الأبرار لفي نعيم۞ وانّ الفجّارَ لفي جحيم ﴾ (الانفطار: ١٣ - ١٤)

﴿ اذا زُلزلت الارض زلزالها۞ وأخرجَتِ الارض اثقالها۞ وقال الانسان ما لها۞ يومئذٍ تحدّث أخبارَها۞ بأن ربَّك أوحى لها۞ يومئذٍ يصدُرُ النّاسُ اشتاتاً ليروا اعمالهم۞ فمنْ يَعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يَرَه۞ ومن يعمل مثقال ذرّةٍ شراً يَرَهُ ﴾ (سورة الزلزال)

﴿ القارعة۞ ما القارعة۞ وما ادراك ما القارعة۞ يومَ يكونُ الناس كالفراش المبثوث۞ وتكون الجبال كالعِهنِ المنفوش۞ فأما

مَن ثقلت موازينُه۞ فهو في عيشةٍ راضيةٍ۞ وأما مَنْ خفَّت موازينُه۞ فأمه هاوية۞ وما ادراك ماهيَهْ۞ نارٌ حامية ﴾

(سورة القارعة)

﴿ ولله غيبُ السموات والارض وما أمرُ الساعة الاّ كلمحِ البصر أو هو أقرب ان الله على كلّ شيءٍ قدير ﴾ (النحل: ٧٧)

☆☆☆

ولنستمع الى امثال هذه الآيات البينات. ولنقل آمنا وصدقنا:

آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وبالقدر خيره وشرّه من الله تعالى، والبعث بعد الموت حق، وان الجنة حق، والنار حق، وان الشفاعة حق، وان منكراً ونكيراً حق، وأنَّ الله يبعث من في القبور. اشهد أن لا اِله الاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

اللّهم صلّ على ألطف وأشرف واكمل وأجمل ثمرات طوبى رحمتك الذي أرسلته رحمةً للعالمين ووسيلة لوصولنا الى أزين واحسن وأجنى واعلى ثمرات تلك الطوبى المتدلية على دار الاخرة أي الجنّة.

اللّهم أجـرنا وأجـر والدينا من الـنار وأدخلنا وأدخل والـدينا الجنّة مع الابرار بجاه نبيّك المختار... آمين.

● فيا أيهـا الأخ القارئ لهذهِ الرسالة بانصـاف! لا تقل لِمَ لا احيط فهمـاً بهذه الكلمة العـاشرة.. لا تَغتَم ولا تتضايق مـن عدم الاحاطة بها، فان فلاسفة دهاة ـ امثال ابن سينا ـ قد قالوا: (الحشر ليس على مـقاييس عـقلية) اي «نؤمن به فـحسـب، اذ لا يمكن سلوك سبيله، وسبـر غوره بالعقل» وكـذلك اتفق علماء الاسلام بأن قـضية الحـشر قضيـة نقلية، أي ان أدلتها نقلـية، ولا يمكن الوصول اليهـا عقلاً. لذا فان سـبيلاً غائراً، وطريـقاً عالياً سـامياً في الوقت نفـسه، لا يمكن ان يكون بسـهولة طريق عام يمكن ان يسلكه كل سالك.

ولكن بفيض الـقرآن الكريم، وبرحمـة الخالق الرحيـم قد مُنَّ علينا السير في هذا الطريق الـرفيع العميق، في هذا العصـر الذي تحطم فيه التقليـد وفسـد الاذعان والتسلـيم. فما علينا الاّ تـقديم آلاف الشكر الى البارى عـز وجل على احسانه العمـيم وفضله العظيم، اذ ان هذا القـدر يكفي لانقاذ ايماننا وسـلامتـه. فلابد ان نرضى بمقـدار فهـمنا ونزيده بتكرار المطالعة.

هذا وان أحد اسرار عـدم الوصول الى مسألة الحشـر عقلاً هو ان

الحشر الاعظم هو من تجلي (الاسم الاعظم)، لذا فان رؤية واراءة الافعال العظيمة الصادرة من تجلي الاسم الاعظم، ومن تجلي المرتبة العظمى لكل اسم من الاسماء الحسنى هي التي تجعل اثبات الحشر الاعظم سهلاً هيناً وقاطعاً كاثبات الربيع وثبوته، والذي يؤدي الى الاذعان القطعي والايمان الحقيقي.

وعلى هذه الصورة توضّح الحشر ووُضِّح في هذه (الكلمة العاشرة) بفيض القرآن الكريم. والِا لو اعتمد العقل على مقاييسه الكليلة لظلّ عاجزاً مضطراً الى التقليد.

ذيل رسالة الحشر

القطعة الأولى

من لاحقة الكلمة العاشرة وذيلها المهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ۞ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّموات وَالْارْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ۞ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الارْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ اَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ اِذَآ اَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ اَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا اِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَايَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّموَاتِ وَالاَرْضِ وَاخْتِلَافُ اَلْسِنَتِكُمْ وَاَلْوَانِكُمْ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَايَاتٍ لِلْعَالِمِينَ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَآؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاَيَاتٍ

لقومٍ يسمعون۞ ومن آياته يُريكُم البرقَ خوفاً وطمعاً ويُنزّلُ من السَّمآءِ مآءً فيُحيي به الأرضَ بعدَ موتِها انَّ في ذلكَ لآياتٍ لقومٍ يعقلون۞ ومن آياته انْ تقومَ السَّمآءُ والأرضُ بأمرِه ثُمَّ اذا دعاكُم دعوةً منَ الأرضِ اذا انتُم تخرجُون۞ ولَهُ من في السَّموات والأرضِ كُلٌّ لَهُ قانتون۞ وهُوَ الَّذي يَبدؤُا الخَلقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وهُوَ اهوَنُ عليه ولَهُ المثلُ الأعلى في السَّمواتِ والارضِ وهُوَ العزيزُ الحكيمُ﴾ (الروم١٧ - ٢٧)

سنُبيّن في هذا (الشعاع التاسع) برهاناً قوياً، وحجةً كبرى، لما تبينه هذه الآيات الكريمة من محور الايمان وقطبه، وهو الحشر، ومن البراهين السامية المقدسة الدالة عليه.

وانه لعناية ربانية لطيفة ان كتب (سعيد القديم)(١) قبل ثلاثين سنة في ختام مؤلّفه (محاكمات) الذي كتبه مقدمة لتفسير (اشارات الاعجاز في مظان الايجاز) ما يأتي:

المقصد الثاني: سوف يفسر آيتين تبيّنان الحشر وتشيران اليه.

---

(١) «سعيد القديم» هو اللقب الذي يطلقه النورسي على نفسه قبل قيامه بتأليف رسائل النور (١٩٢٦) وقبل أن يأخذ «سعيد الجديد» على عاتقه مهمة انقاذ الايمان، ويستلهم من فيض القرآن الكريم رسائل النور. ـ المترجم.

ولكنه ابتدأ بـ: نخو(١) بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيم. وتوقف، ولم تتح له الكتابة.

فألف شكر وشكر للخالق الكريم وبعدد دلائل الحشر واماراته أن وفّقني لبيان ذلك التفسير بعد ثلاثين سنة. فأنعم سبحانه وتعالى عليّ بتفسير الآية الاولى:

﴿ فَانْظُر الى آثَارِ رَحْمَتِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا انَّ ذَلِكَ لَمُحيِي الْمَوْتى وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ﴾ (الروم: ٥٠)

وذلك بعد نحو عشر سنوات، فأصبحت (الكلمة العاشرة) و (الكلمة التاسعة والعشرين) وهما حجتان ساطعتان قويتان اخرستا المنكرين الجاحدين..

وبعد حوالى عشر سنوات من بيان ذلك الحصن الحصين للحشر، أفاض عليّ سبحانه وتعالى وانعم بتفسير الآيات المتصدرة لهذا الشعاع، فكان هذه الرسالة.

فهذا (الشعاع التاسع) عبارة عن تسعة مقامات سامية مما اشارت اليها الآيات الكريمة مع مقدمة مهمة.

---

(٢) نخو: كلمة كردية باللهجة الكرمانجية الشمالية، تعني: فإذن. ـ المترجم.

المقدمة

هذه المقدمة نقطتان: سنذكر اولاً وباختصار نتيجة واحدة جامعة من بين النتائج الحياتية والفوائد الروحية لعقيدة الحشر، مبينين مدى ضرورة هذه العقيدة للحياة الانسانية ولاسيما الاجتماعية.

ونورد كذلك حجة كلية واحدة ـ من بين الحجج العديدة لعقيدة الايمان بالحشر ـ مبينين ايضاً مدى بداهتها ووضوحها حيث لا يداخلها ريب ولا شبهة.

النقطة الأولى

سنشير الى أربعة أدلة على سبيل المثال وكنموذج قياسي من بين مئات الادلة على أن **عقيدة الاخرة هي أس الاساس لحياة الانسان الاجتماعية والفردية، وأساس جميع كمالاته ومُثله وسعادته.**

الدليل الأول:

ان الاطفال الذين يمثلون نصف البشرية، لا يمكنهم ان يتحمّلوا تلك الحالات التي تبدو مؤلمةً ومفجعة امامَهم من حالات الموت

والوفاة الاّ بما يجدونه في انفسهم وكيانهم الرقيق اللطيف من القوة المعنوية الناشئة من «الايمان بالجنة». ذلك الايمان الذي يفتح باب الامل المشرق أمام طبائعهم الرقيقة التي لا تتمكن من المقاومة والصمود وتبكي لأدنى سبب. فيتمكنون به من العيش بهناء وفرح وسرور. فيحاور الطفل المؤمن بالجنة نفسه: «أن اخي الصغير أو صديقي الحبيب الذي توفي، اصبح الآن طيراً من طيور الجنة، فهو اذن يسرح من الجنة حيث يشاء، ويعيش افضل واهنأ منّا». والاّ فلولا هذا الايمان بالجنة لهدم الموتُ الذي يصيب اطفالاً امثاله - وكذلك الكبار - تلك القوة المعنوية لهؤلاء الذين لا حيلة لهم ولا قوة، ولحطّم نفسياتهم، ولدمّر حياتهم ونغصها فتبكي عندئذٍ جميع جوارحهم ولطائفهم من روح وقلب وعقل مع بكاء عيونهم. فإما أن تموت احاسيسهم وتتغلظ مشاعرهم أو يصبحوا كالحيوانات الضالة التعسة.

الدليل الثاني:

إن الشيوخ الذين هم نصف البشرية، انما يتحملون ويصبرون وهم على شفير القبر بـ «الايمان بالآخرة». ولا يجدون الصبر والسلوان من قرب انطفاء شعلة حياتهم العزيزة عليهم، ولا من انغلاق باب دنياهم الحلوة الجميلة في وجوههم إلاّ في ذلك الايمان.

فهؤلاء الشيوخ الذين عادوا كالاطفال واصبحوا مرهفي الحس في أرواحهم وطبائعهم، انما يقابلون ذلك اليأس القاتل الأليم الناشئ من الموت والزوال، ويصبرون عليه بالأمل في الحياة الآخرة. والاّ فلولا هذا الايمان بالآخرة لشعر هؤلاء الآباء والامهات ـ الذين هم اجدر بالشفقة والرأفة والذين هم في أشد الحاجة الى الاطمئنان والسكينة والحياة الهادئة ـ ضراماً روحياً واضطراباً نفسياً وقلقاً قلبياً، ولضاقت عليهم الدنيا بما رحبت، ولتحولت سجناً مظلماً رهيباً، ولانقلبت الحياة الى عذاب أليم قاسٍ.

الدليل الثالث:

ان الشباب والمراهقين الذين يمثلون محور الحياة الاجتماعية لا يهدّئ فورة مشاعرهم، ولا يمنعهم من تجاوز الحدود الى الظلم والتخريب، ولا يمنع طيش انفسهم ونزواتها، ولا يؤمّن السير الافضل في علاقاتهم الاجتماعية الاّ الخوف من نار جهنم. فلولا هذا الخوف من عذاب جهنم لقلب هؤلاء المراهقون الطائشون الثملون بأهوائهم الدنيا الى جحيم تتأجج على الضعفاء والعجائز، حيث «الحُكم للغالب» ولحوّلوا الحياة الانسانية السامية الى حياة حيوانية سافلة.

الدليل الرابع:

ان الحياة العائلية هي مركز تجمّع الحياة الدنيوية ولولبها وهي جنة سعادتها وقلعتها الحصينة وملجأها الامين. وان بيت كل فرد هو عالَمه ودنياه الخاصة. فلا سعادة لروح الحياة العائلية الاّ بالاحترام المتبادل الجاد والوفاء الخالص بين الجميع، والرأفة الصادقة والرحمة التي تصل الى حد التضحية والايثار. ولا يحصل هذا الاحترام الخالص والرحمة المتبادلة الوفية الاّ بالايمان بوجود علاقات صداقة أبدية، ورفقة دائمة، ومعيّة سرمدية، في زمن لا نهاية له، وتحت ظل حياة لا حدود لها، تربطها علاقات أبوّة محترمة مرموقة، واخوة خالصة نقية، وصداقة وفيّة نزيهة، حيث يحدّث الزوج نفسه: «ان زوجتي هذه رفيقة حياتي وصاحبتي في عالم الابد والحياة الخالدة، فلا ضير ان اصبحت الآن دميمة أو عجوزاً، اذ إن لها جمالاً أبدياً سيأتي، لَذا فأنا مستعد لتقديم اقصى ما يستوجبه الوفاء والرأفة، وأضحي بكل ما تتطلبه تلك الصداقة الدائمة».. وهكذا يمكن أن يكنّ هذا الرجل حباً ورحمة لزوجته العجوز كما يكنّه للحور العين. والاّ فان صحبة وصداقة صورية تستغرق ساعة أو ساعتين ومن ثم يعقبها فراق أبدي ومفارقة دائمة لهي صحبة وصداقة ظاهرية لا اساس لها ولا سند. ولا يمكنها ان تعطي الاّ رحمة مجازية، واحتراماً

مصطنعاً، وعطفاً حيواني المشاعر، فضلاً عن تدخُل المصالح والشهوات النفسانية وسيطرتها على تلك الرحمة والاحترام فتنقلب عندئذٍ تلك الجنة الدنيوية الى جحيم لا يطاق.

وهكذا فان نتيجة واحدة للايمان بالحشر من بين مئات النتائج التي تتعلق بالحياة الاجتماعية للانسان، وتعود اليها، والتي لها مئات الأوجه والفوائد، اذا ما قيست على تلك الدلائل الاربعة المذكورة آنفاً، يُدرك أن وقوع حقيقة الحشر وتحققها قطعي كقطعية ثبوت حقيقة الانسان السامية وحاجاته الكلية. بل هي اظهر دلالة من حاجة المعدة الى الاطعمة والاغذية، واوضح شهادةً منها. ويمكن ان يقدّر مدى تحققها تحققاً أعمق واكثر اذا ما سلبت الانسانية من هذه الحقيقة، الحشر، حيث تصبح ماهيتها التي هي سامية ومهمة وحيوية بمثابة جيفة نتنة ومأوى الميكروبات والجراثيم.

فليلق السمعَ علماء الاجتماع والسياسة والاخلاق من المعنيين بشؤون الانسان واخلاقه واجتماعه، وليأتوا ويبينوا بماذا سيملأون هذا الفراغ؟ وبماذا سيداوون ويضمدون هذه الجروح الغائرة العميقة؟!

النقطة الثانية

تبين هذه النقطة بايجاز شديد برهاناً واحداً ـ من بين البراهين التي لا حصر لها ـ على حقيقة الحشر وهو ناشئ من خلاصة شهادة سائر الاركان الايمانية. وعلى النحو الآتي.

ان جميع المعجزات الدالة على رسالة سيدنا محمد ﷺ مع جميع دلائل نبوته وجميع البراهين الدالة على صدقه، تشهد بمجموعها معاً، على حقيقة الحشر، وتدل عليها وتثبتها، لأن دعوته ﷺ طوال حياته المباركة قد انصبّت بعد التوحيد على الحشر. وأن جميع معجزاته وحججه الدالة على صدق الانبياء عليهم السلام ـ وتحمل الآخرين على تصديقهم ـ تشهد على الحقيقة نفسها، وهي الحشر. وكذا شهادة «الكتب المنزلة» التي رقّت الشهادة الصادرة من «الرسل الكرام» الى درجة البداهة، تشهدان على الحقيقة نفسها. وعلى النحو الآتي:

فالقرآن الكريم ـ ذو البيان المعجز ـ يشهد بجميع معجزاته وحججه وحقائقه ـ التي تثبت أحقيته ـ على حدوث الحشر ويثبته، حيث ان ثُلث القرآن بأكمله، وأوائل أغلب السور القصار، آيات جلية على الحشر. أي أن القرآن الكريم ينبئ عن الحقيقة نفسها

بآلاف من آياته الكريمة صراحة أو اشارةً ويثبتها بوضوح، ويظهرها بجلاء. فمثلاً:

﴿ اذا الشمسُ كُوِّرت ﴾

﴿ يا ايها الناسُ اتقوا ربَّكم ان زلزلة الساعة شيءٌ عظيم ﴾

﴿ اذا زلزلت الارض زلزالها ﴾

﴿ اذا السماءُ انفطرت ﴾

﴿ اذا السماء انشقت ﴾

﴿ عمّ يتساءلون ﴾

﴿ هل اتاك حديثُ الغاشية ﴾

فيثبت القرآن الكريم بهذه الآيات وأمثالها في مفتتح ما يقارب أربعين سورة ان الحشر لا ريب فيه، وأنه حَدثٌ في غاية الأهمية في الكون، وان حدوثه ضروري جداً ولابد منه، ويبين بالآيات الأخرى دلائل مختلفة مقنعة على تلك الحقيقة.

تُرى ان كان كتاب تثمر اشارةٌ واحدةٌ لآيةٍ من آياته تلك الحقائق العلمية والكونية المعروفة بالعلوم الاسلامية، فكيف اذن بشهادة آلاف من آياته ودلائله التي تبين الايمان بالحشر كالشمس

ساطعة؟ ألا يكون الجحود بهذا الايمان كانكار الشمس بل كانكار الكائنات قاطبة؟! ألا يكون ذلك باطلاً ومحالاً في مائة محال؟!

تُرى هل يمكن ان يوصَم آلاف الوعد والوعيد لكلام سلطان عزيز عظيم بالكذب أو انها بلا حقيقة، في حين قد يخوض الجيش غمار الحرب لئلا تُكذَّب اشارةٌ صادرة من سلطان.

فكيف بالسلطان المعنوي العظيم الذي دام حكمه وهيمنته ثلاثة عشر قرناً دون انقطاع، فربّى ما لا تعد من الارواح والعقول والقلوب والنفوس، وزكّاها وأدارها على الحق والحقيقة، ألا تكفي اشارة واحدة منه لإثبات حقيقة الحشر؟ علماً أن فيه آلاف الصراحة الواضحة المثبتة! أليس الذي لا يدرك هذه الحقيقة الواضحة احمقَ جاهلاً؟ ألا يكون من العدالة المحضة ان تكون النار مثواه؟

ثم ان الصحف السماوية والكتب المقدسة جميعها التي حكَمت كل منها لفترة من العصور والازمنة، قد صدّقت بآلاف من الدلائل دعوى القرآن الكريم في حقيقة الحشر مع ان بيانها لها مختصر وموجز، وذلك بمقتضى زمانها وعصرها، تلك الحقيقة القاطعة التي بيّنها القرآن الكريم الذي ساد حكمه على العصور جميعها، وهيمن على المستقبل كله، بيّنها بجلاء وافاض في ايضاحها.

يُدرج هنا نص ما جاء في آخر رسالة (المناجاة) انسجاماً مع البحث، تلك الحجة القاطعة الملخَّصة للحشر، والناشئة من شهادة سائر الاركان الايمانية ودلائلها على الايمان باليوم الآخر، ولاسيما الايمان بالرسل والكتب، والتي تبدد الاوهام والشكوك، حيث جاءت باسلوب موجز، وعلى صورة مناجاة.

«يا ربي الرحيم.. لقد أدركتُ بتعليم الرسول ﷺ وفهمتُ من تدريس القرآن الحكيم، ان الكتبَ المقدسة جميعها، وفي مقدمتها القرآن الكريم، والأنبياءَ عليهم السلام جميعهم، وفي مقدمتهم الرسول الاكرم ﷺ، يدلّون ويشهدون ويشيرون بالاجماع والاتفاق الى ان تجليات الاسماء الحسنى - ذات الجلال والجمال - الظاهرةَ آثارُها في هذه الدنيا، وفي العوالم كافة، ستدوم دواماً اسطعَ وأبهرَ في أبد الآباد.. وان تجلياتها - ذات الرحمة - وآلاءها المشاهدة نماذجها في هذا العالم الفاني، ستثمر بابهى نور واعظم تألق، وستبقى دوماً في دار السعادة.. وان اولئك المشتاقين الذين يتملّونها - في هذه الحياة الدنيا القصيرة - بلهفةٍ وشوق سيرافقونها بالمحبة والودّ، ويصحبونها الى الابد، ويظلون معها خالدين.. وان جميع الانبياء وهم ذوو الارواح النيرة وفي مقدمتهم الرسول الاكرم ﷺ، وجميع الأولياء وهم اقطاب ذوي القلوب

المنورة، وجميع الصديقين وهم منابع العقول النافذة النيّرة، كل اولئك يؤمنون ايماناً راسخاً عميقاً بالحشر ويشهدون عليه ويبشرون البشرية بالسعادة الابدية، وينذرون اهل الضلالة بأن مصيرهم النار، ويبشرون أهل الهداية بأن عاقبتهم الجنة، مستندين الى مئات المعجزات الباهرة والآيات القاطعة، والى ما ذكرتَه انت يا ربي مراراً وتكراراً في الصحف السماوية والكتب المقدسة كلها من آلاف الوعد والوعيد. ومعتمدين على عزة جلالك وسلطان ربوبيتك وشؤونك الجليلة، وصفاتك المقدسة كالقدرة والرحمة والعناية والحكمة والجلال والجمال وبناءً على مشاهداتهم وكشفياتهم غير المعدودة التي تنبئ عن آثار الآخرة ورشحاتها. وبناءً على ايمانهم واعتقادهم الجازم الذي هو بدرجة علم اليقين وعين اليقين.

فيا قدير ويا حكيم ويا رحمن ويا رحيم ويا صادق الوعد الكريم، ويا ذا العزة والعظمة والجلال ويا قهار ذو الجلال. انت مقدّس ومنزّه، وانت متعال عن ان تُوصِم بالكذب كل أوليائك وكل وعودك وصفاتك الجليلة وشؤونك المقدسة.. فتكذّبهم، أو تحجب ما يقتضيه قطعاً سلطان ربوبيتك بعدم استجابتك لتلك الأدعية الصادرة من عبادك الصالحين الذين احببتهم واحبّوك، وحبّبوا انفسهم اليك بالايمان والتصديق والطاعة، فانت منزّه ومتعال مطلق

عن أن تصدّق أهل الضلالة والكفر في انكارهم الحشر، اولئك الذين يتجاوزون على عظمتك وكبريائك بكفرهم وعصيانهم وتكذيبهم لك ولوعودك، والذين يستخفّون بعزة جلالك وعظمة ألوهيتك ورأفة ربوبيتك..

فنحن نقدّس بلا حد ولا نهاية عدالتَك وجمالك المطلقين ورحمتك الواسعة وننزّهها من هذا الظلم والقبح غير المتناهي..

ونعتقد ونؤمن بكل ما اوتينا من قوة بأن الآلاف من الرسل والأنبياء الكرام، وبما لا يعدّ ولا يحصى من الاصفياء والأولياء الذين هم المنادون اليك هم شاهدون بحق اليقين وعين اليقين وعلم اليقين على خزائن رحمتك الأخروية وكنوز احساناتك في عالم البقاء، وتجليات اسمائك الحسنى التي تنكشف كلياً في دار السعادة..

ونؤمن ان هذه الشهادة حق وحقيقة، وان اشاراتهم صدق وواقع، وان بشاراتهم صادقة وواقعة.. فهؤلاء جميعاً يؤمنون بأن هذه الحقيقة الكبرى ـ أي الحشر ـ شعاع عظيم من اسم «الحق» الذي هو مرجع جميع الحقائق وشمسها، فيرشدون عبادك ـ باذن منك ـ ضمن دائرة الحق، ويعلمونهم بعين الحقيقة.

فيا ربي! بحق دروس هؤلاء، وبحرمة ارشاداتهم، آتنا ايماناً

كـاملاً وارزقـنا حـسـن الخـاتمـة، لنا ولطلاب النـور، واجـعلـنا اهلاً لشفاعتهم... آمين».

وهكذا فان الدلائل والحجج التي تثبت صدق القرآن الكريم بل جـميع الكتب السـمـاوية، وان المعجـزات والبراهـين التي تثبت نبـوة حبيب الله بـل الانبياء جميـعهـم، تثبت بدورها أهم ما يـدعون اليه، وهو تحـقق الآخـرة وتدل عليـهـا. كـمـا ان اغلب الادلة والحـجج الشاهدة على وجوب واجب الوجود ووحـدته سبحانه، هي بدورها شـاهدة عـلى دار السـعـادة وعـالم البـقـاء التي هي مـدار الربـوبيـة والالوهيـة وأعظم مظهر لهـمـا، وهي شاهدة على وجـود تلك الدار وانفتاح أبوابها ـ كما سيبين في المقامات الآتية ـ لأن وجوده سبحانه وتعالى، وصفاته الجليلة، وأغلب اسمائه الحسنى، وشؤونه الحكيمة، وأوصافه المقـدسة أمثال الربوبية والالوهية والرحـمة والعناية والحكمة والعدالة تقـتضي جميـعها الآخـرة وتلازمها، بل تستلزم وجـود عالم البـقـاء بدرجة الوجـوب وتطلب الحـشـر والنشـور للثواب والـعقـاب بدرجة الضرورة أيضاً.

نعم، مـا دام الله مـوجـوداً، وهـو واحـد، أزلي أبدي، فـلابد ان مـحـور سلطان الوهـيـتـه وهو الآخـرة، مـوجـود ايضـاً.. ومـا دامت الربوبية المطلقـة تتجلى في هذه الكائنات ولا سيمـا في الاحياء وهي

ذات جلال وعظمة وحكمة ورأفة ظاهرة واضحة، فلابد أن هناك سعادة أبدية تنفي عن الربوبية المطلقة أيّ ظن بكونها تترك الخلق هملاً دون ثواب، وتبرئ الحكمة من العبث، وتصون الرأفة من الغدر. أي أن تلك الدار موجودة قطعاً ولابد من الدخول فيها.

وما دامت هذه الأنواع من الإنعام والاحسان واللطف والكرم والعناية والرحمة مشاهدة وظاهرة أمام العقول التي لم تنطفئ، وامام القلوب التي لم تمت، وتدلّنا على وجوب وجود رب رحمن رحيم وراء الحجاب، فلابد من حياة باقية خالدة، لتنقذ الإنعامَ من الاستهزاء أي يأخذ الانعام مداه، وتصون الاحسان من الخداع ليستوفي حقيقته، وتنقذ العناية من العبث لتستكمل تحققها، وتنجي الرحمة من النقمة فيتم وجوهها، وتبرىء اللطف والكرم من الاهانة ليفيضا على العباد. نعم، ان الذي يجعل الاحسان احساناً حقاً، والنعمة نعمةً حقاً، هو وجود حياةٍ باقيةٍ خالدةٍ في عالم البقاء والخلود.. نعم، لابد ان يتحقق هذا.

وما دام قلم القدرة الذي يكتب في فصل الربيع وفي صحيفة ضيقة صغيرة، مائة الف كتاب، كتابةً متداخلة بلا خطأ ولا نصب ولا تعب، كما هو واضح جليّ امام اعيننا. وان صاحب ذلك القلم قد تعهّد ووعد مائة ألف مرة لأكتبنّ كتاباً اسهل من كتاب الربيع

المكتوب أمامكم ولأكتبنّه كتابةً خالدة، في مكان اوسع وارحبَ وأجملَ من هذا المكان الضيق المختلط المتداخل.. فهو كتاب لا يفنى ابداً، ولأجعلنكم تقرأونه بحيرة واعجاب!. وانه سبحانه يذكر ذلك الكتاب في جميع أوامره، اي ان اصول ذلك الكتاب قد كُتبت بلا ريب، وستكتب حواشيه وهوامشه بالحشر والنشور، وستدوّن فيه صحائف اعمال الجميع..

وما دامت هذه الارض قد اصبحت ذات اهمية عظمى من حيث احتواؤها على كثرة المخلوقات، ومئات الالوف من انواع ذوي الحياة والأرواح المختلفة المتبدلة، حتى صارت قلب الكون وخلاصته، ومركزه وزبدته ونتيجته وسبب خلقه. فذُكرت دائماً صنواً للسماوات كما في ﴿رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ في جميع الأوامر السماوية...

وما دام ابن آدم يحكم في شتى جهات هذه الارض - التي لها هذه الماهيات والخواص - ويتصرف في اغلب مخلوقاتها مسخّراً اكثر الاحياء له، جاعلاً اكثر المصنوعات تحوم حوله وفق مقاييسه وهواه، وحسب حاجاته الفطرية، وينظمها ويعرضها ويزيّنها، وينسّق الأنواع العجيبة منها في كل مكان بحيث لا يلفت نظر الانس والجن وحدهم، بل يلفت ايضاً نظر أهل السموات والكون قاطبة، بل حتى

نظر مالك الكون، فنال الاعجاب والتقدير والاستحسان، وأصبحت له ـ من هذه الجهة ـ أهمية عظيمة، وقيمة عالية، فاظهر بما أوتي من علم ومهارة انه هو المقصود من حكمة خلق الكائنات، وأنه هو نتيجتها العظمى وثمرتها النفيسة، ولا غرو فهو خليفة الارض.. وحيث أنه يعرض صنائع الخالق البديعة، وينظّمها بشكل جميل جذاب في هذه الدنيا، فقد أُجّل عذابه على عصيانه وكفره، وسُمح له بالعيش في الدنيا وأُمهل ليقوم بهذه المهمة بنجاح..

وما دام لابن آدم ـ الذي له هذه الماهية والمزايا خلقةً وطبعاً، وله حاجات لا تُحدّ مع ضعفه الشديد، وآلام لا تُعدّ مع عجزه الكامل ـ ربٌ قدير، له القدرة والرأفة المطلقة مما يجعل هذه الارض الهائلة العظيمة مخزناً عظيماً لأنواع المعادن التي يحتاجها الانسان، ومستودعاً لأنواع الاطعمة الضرورية له، وحانوتاً للأموال المختلفة التي يرغبها، وانه سبحانه ينظر اليه بعين العناية والرأفة ويربيه ويزوده بما يريد...

وما دام الرب سبحانه ـ كما في هذه الحقيقة ـ يحبّ الانسان، ويحبّب نفسه اليه، وهو باقٍ، وله عوالم باقية، ويُجري الامور وفق عدالته، ويعمل كل شئ وفق حكمته، وان عظمة سلطان هذا الخالق الأزلي وسرمدية حاكميته لا تحصرهما هذه الدنيا القصيرة، ولا

يكفيهما عمر الانسان القصير جداً، ولا عمر هذه الارض المؤقتة الفانية. حيث يظل الانسان دون جزاء في هذه الدنيا لما يرتكبه من وقائع الظلم، وما يقترفه من انكار وكفر وعصيان، تجاه مولاه الذي انعم عليه ورباه برأفة كاملة وشفقة تامة، مما ينافي نظام الكون المنسّق، ويخالف العدالة والموازنة الكاملة التي فيها، ويخالف جماله وحسنه، اذ يقضي الظالم القاسي حياته براحة، بينما المظلوم البائس يقضيها بشظف من العيش. فلا شك ان ماهية تلك العدالة المطلقة ـ التي يشاهد آثارها في الكائنات ـ لا تقبل أبداً، ولا ترضى مطلقاً، عدم بعث الظالمين العتاة مع المظلومين البائسين الذين يتساوون معاً امام الموت.

وما دام مالك الملك قد اختار الارض من الكون، واختار الانسان من الارض، ووهب له مكانة سامية، وأولاه الاهتمام والعناية، واختار الانبياء والأولياء والأصفياء من بين الناس، وهم الذين انسجموا مع المقاصد الربانية، وحبّبوا انفسهم اليه بالايمان والتسليم، وجعلهم أولياءه المحبوبين المخاطبين له، واكرمهم بالمعجزات والتوفيق في الأعمال وأدّب اعداءهم بالصفعات السماوية، واصطفى من بين هؤلاء المحبوبين إمامهم ورمز فخرهم واعتزازهم، ألا وهو محمد ﷺ. فنوّر بنوره نصف الكرة الأرضية ذات الأهمية، وخمس البشرية ذوي الأهمية، طوال قرون عدة، حتى كأن الكائنات قد خُلقت لأجله،

لبروز غاياتها جميعاً به، وظهورها بالدين الذي بُعث به، وانجلائها بالقرآن الذي أُنزل عليه. فبينما يستحق أن يكافأ على خدماته الجليلة غير المحدودة بعمرٍ مديد غير محدود وهو أهلٌ له، الاّ أنه قضى عمراً قصيراً وهو ثلاث وستون سنة في مجاهدة ونَصَب وتعب! فهل يمكن، وهلّ يعقل مطلقاً، وهل هناك أي احتمال ألاّ يُبعَث هو وأمثاله وأحباؤه معاً؟! وألاّ يكون الآن حياً بروحه؟! وان يفنى نهائياً ويصير الى العدم؟ كلا.. ثم كلا.. وحاشاه ألف ألف مرة. نعم، ان الكون وجميع حقائق العالم يدعو الى بعثه ويريده ويطلب من رب الكون حياته.

ولقد بيّنتْ رسالة «الآية الكبرى» وهي الشعاع السابع واثبتت بثلاثة وثلاثين اجماعاً عظيماً، كل منه كالجبل الأشم في قوة حجّته، بأن هذا الكون لم يصدر الاّ من يد واحدٍ أحد، وليس ملكاً الا لواحد احد. فاظهرت التوحيد ـ بتلك البراهين والمراتب بداهةً ـ انه محور الكمال الآلهي وقطبه. وبيّنت أنه بالوحدة والأحدية يتحول جميعُ الكون بمثابة جنودٍ مستنفرين لذلك الواحد الاحد، وموظفين مسخّرين له. وبمجيء الآخرة ووجودها تتحقق كمالاته وتصان من السقوط وتسود عدالته المطلقة، وتنجو من الظلم، وتُنزّه حكمته العامة وتبرأ من العبث والسفاهة، وتأخذ رحمتُه الواسعة مداها،

وتُنقذ من التعذيب المشين. وتبدو عزته وقدرته المطلقتان وتُنقَذان من العجز الذليل. وتتقدّس كل صفة من صفاته سبحانه وتتجلى منزّهة جليلة.

فلابد ولا ريب مطلقاً أن القيامة ستقوم، وان الحشر والنشور سيحدث، وان أبواب دار الثواب والعقاب ستفتح، بمقتضى ما في حقائق هذه الفقرات الثمانية المذكورة المبتدئة بـ «ما دام» التي هي مسألة دقيقة ونكتة ذات مغزى لطيف من بين مئات النكات الدقيقة للايمان بالله؛ وذلك: كي تتحقق اهمية الارض ومركزيتها، وأهمية الانسانية ومكانتها.. ولكي تتقرر عدالة رب الارض والانسان وحكمته ورحمته وسلطانه.. ولكي ينجو الاولياء والاحبّاء الحقيقيون والمشتاقون الى الرب الباقي من الفناء والاعدام الأبدي.. ولكي يرى اعظمهم وأحبّهم وأعزّهم ثوابَ عمله، ونتائج خدماته الجليلة التي جعلت الكائنات في امتنان ورضى دائمين.. ولكي يتقدس كمال السلطان السرمدي من النقص والتقصير، وتتنزّه قدرته من العجز، وتبرأ حكمتُه من السفاهة، وتتعالى عدالته عن الظلم.

والخلاصة: ما دام الله جل جلاله موجوداً فان الآخرة لا ريب فيها مطلقاً.

وكما تثبت الاركان الايمانية الثلاثة ـ المذكورة آنفاً ـ الحشرَ بجميع دلائلها وتشهد عليه. كذلك يستلزم الركنان الايمانيان

«وبملئكته، وبالقدر خيره وشره من الله تعالى» أيضاً الحشرَ، ويشهدان شهادة قوية على العالم الباقي ويدلان عليه على النحو الآتي:

ان جميع الدلائل والمشاهدات والمكالمات الدالة على وجود الملائكة ووظائف عبوديتهم، هي بدورها دلائل على وجود عالم الأرواح وعالم الغيب وعالم البقاء وعالم الآخرة ودار السعادة والجنة والنار اللتين ستعمران بالجن والانس، لان الملائكة يمكنهم ـ بإذن إلهي ـ ان يشاهدوا هذه العوالم ويدخلوها، لذا فالملائكة المقربون يخبرون بالاتفاق ـ كجبريل عليه السلام الذي قابل البشر ـ بوجود تلك العوالم المذكورة وتجوالهم فيها. فكما اننا نعلم بديهة وجود قارة امريكا التي لم نرها من كلام القادمين منها، كذلك يكون الايمان بديهة بما اخبرت به الملائكة ـ وهو بقوة مائة تواتر ـ عن وجود عالم البقاء ودار الآخرة والجنة والنار... وهكذا نؤمن ونصدق.

وكذلك الدلائل التي تثبت **«الايمان بالقدر»** ـ كما جاءت في رسالة القدر «الكلمة السادسة والعشرين» هي بدورها دلائل على الحشر ونشر الصحف وموازنة الاعمال عند الميزان الاكبر، ذلك لأن ما نراه أمام أعيننا من تدوين مقدّرات كل شئ على ألواح النظام والميزان، وكتابة احداث الحياة ووقائعها لكل ذي حياة في قواه

الحافظة، وفي حبوبه ونواه، وفي سائر الالواح المثالية. وتثبيت دفاتر الاعمال لكل ذي روح ولا سيما الانسان، واقرارها في ألواح محفوظة.. كل هذا القدر من القَدَر المحيط، ومن التقدير الحكيم، ومن التدوين الدقيق، ومن الكتابة الأمينة، لا يمكن أن يكون الاّ لأجل محكمة كبرى، ولنيل ثواب وعقاب دائمين. والاّ فلا يبقى مغزى ولا فائدة أبداً، لذلك التدوين المحيط والكتابة التي تسجل وتحفظ أدق الامور. فيقع اذن ما هو خلاف الحكمة والحقيقة. أي انْ لم يحدث الحشر فان جميع معاني كتاب الكون الحقة التي كَتبت بقلم القَدَر سوف تمسخ وتفسد! وهذا لا يمكن ان يكون مطلقاً، وليس له احتمال ابداً، بل هو محال في محال. كإنكار هذا الكون، بل هو هذيان ليس الاّ.

نحصل مما تقدم: ان جميع دلائل اركان الايمان الخمسة هي بدورها دلائل على الحشر ووجوده، وعلى النشور وحدوثه، وعلى وجود الدار الآخرة وانفتاح ابوابها. بل تستدعيه وتشهد عليه، لذا فانه من الوفاق الكامل والانسجام التام ان يبحث ثلث القرآن الكريم المعجز البيان بكامله عن الحشر لما له من الاسس والبراهين التي لا تتزعزع، ويجعله اساساً وركيزة لجميع حقائقه التي يرفعها على ذلك الحجر الاساس.

(انتهت المقدمة)

القطعة الثانية

من الذيل

هي المقام الاول من تسعة مقامات لطبقات البراهين التسع التي تدور حول الحشر والتي أشارت اليها باعجاز الآية الكريمة الآتية:

﴿فَسبحانَ الله حين تُمسـون وحين تُصبحون۞ وله الحمـدُ في السموات والارض وَعَشياً وحين تُظهرون۞ يُخرج الحيَّ من الميت ويُخـرج الميتَ من الحي ويُحـيي الارضَ بـعد مـوتهـا وكـذلكَ تخرجون﴾ (الروم: ١٧ - ١٩)

سيُبيَّن - ان شاء الله - ما اظهرته هـذه الآيات الكريمة من البرهان الباهر والحجة القاطعة للحشر(١).

ولقد بيّنت في الخاصـة الثامـنة والعشـرين من الحيـاة، ان الحيـاة تثبت اركان الايمان الستة، وتتوجه نحوها وتشير الى تحقيقها.

---

(١) لم يكتب هذا المقام بعدُ. وحيث ان مسألة (الحياة) وقضيتها لها علاقة مع الحشر، فقد أُدرجت هنا. وفي ختام هذه المسألة اشارات الحياة الى الركن الايماني (القَدَر)، وهي مسألة دقيقة جداً وعميقة. - المؤلف.

نعم! فما دامت (الحياة) هي حكمة خلق الكائنات، واهم نتيجتها وجوهرها، فلا تنحصر تلك الحقيقة السامية في هذه الحياة الدنيا الفانية القصيرة الناقصة المؤلمة، بل أن الخواص التسع والعشرين للحياة وعظمة ماهيتها، وما يُفهم من غاية شجرتها ونتيجتها، وثمرتها الجديرة بعظمة تلك الشجرة، ما هي الاّ الحياة الأبدية والحياة الآخرة والحياة الحية بحجرها وترابها وشجرها في دار السعادة الخالدة. والاّ يلزم ان تظل شجرة الحياة المجهَّزة بهذه الأجهزة الغزيرة المتنوعة في ذوي الشعور ـ ولا سيما الانسان ـ دون ثمر ولا فائدة ولا حقيقة، ولظل الانسان تعساً وشقياً وذليلاً وأحط من العصفور بعشرين درجة، بالنسبة لسعادة الحياة، مع أنه أسمى مخلوق وأكرم ذوي الحياة وارفع من العصفور بعشرين درجة.

بل العقل الذي هو أثمن نعمة يصبح بلاءً ومصيبة على الانسان بتفكره في أحزان الزمان الغابر ومخاوف المستقبل، فيعذّب قلبَه دائماً معكراً صفو لذة واحدة بتسعة آلام!. ولاشك أن هذا باطل مائة في المائة.

فهذه الحياة الدنيا اذن تثبت ركن (الايمان بالآخرة) اثباتاً قاطعاً بما تظهر لنا في كل ربيع اكثر من ثلاثمائة الف نموذج من نماذج الحشر.

فيا ترى هل يمكن لربّ قدير، يهيئ ما يلزم حياتك من الحاجات المتعلقة بها جميعاً ويوفر لك اجهزتها كلها سواءً في جسمك أو في حديقتك أو في بلدك، ويرسله في وقته المناسب بحكمة وعناية ورحمة، حتى أنه يعلم رغبة معدتك فيما يكفل لك العيش والبقاء، ويسمع ما تهتف به من الدعاء الخاص الجزئي للرزق مبدياً قبوله لذلك الدعاء بما بثّ من الاطعمة اللذيذة غير المحدودة ليُطمئن تلك المعدة ! فهل يمكن لهذا المدبّر القدير ان لا يعرفك؟ ولا يراك؟ ولا يهيئ الاسباب الضرورية لأعظم غاية للانسان وهي الحياة الأبدية؟ ولا يستجيب لأعظم دعاء وأهمه وأعمّه، وهو دعاء البقاء والخلود؟ ولا يقبله بعدم انشائه الحياة الآخرة وايجاد الجنة؟ ولا يسمع دعاء هذا الانسان وهو أسمى مخلوق في الكون بل هو سلطان الارض ونتيجتها.. ذلك الدعاء العام القوي الصادر من الاعماق، والذي يهز العرش والفرش! فهل يمكن ان لا يهتم به اهتمامه بدعاء المعدة الصغيرة ولا يُرضي هذا الانسان؟ ويعرّض حكمته الكاملة ورحمته المطلقة للانكار؟ كلا.. ثم كلا ألف ألف مرة كلا.

وهل يعقل ان يسمع اخفت صوت لأدنى جزء من الحياة فيستمع لشكواه ويسعفه، ويحلم عليه ويربيه بعناية كاملة ورعاية تامة وباهتمام بالغ مسخراً له اكبر مخلوقاته في الكون، ثم لا يسمع

صوتاً كهزيم السماء لأعظم حياة وأسماها وألطفها وأدومها؟ وهل يعقل ألاّ يهتم بدعائه المهم وهو دعاء البقاء، وألاّ ينظر الى تضرعه ورجائه وتوسله؟ ويكون كمن يجهز بعناية كاملة جندياً واحداً بالعتاد، ولا يرعى الجيش الجرار الموالي له !! وكمن يرى الذرة ولا يرى الشمس! أو كمن يسمع طنين الذباب ولا يسمع رعود السماء! حاشَ لله مائة ألف مرة حاشَ للّه.

وهل يقبل العقل - بوجه من الاوجه - ان القدير الحكيم ذا الرحمة الواسعة وذا المحبة الفائقة وذا الرأفة الشاملة والذي يحب صنعته كثيراً، ويحبّب نفسه بها الى مخلوقاته وهو أشد حباً لمن يحبونه، فهل يعقل ان يُفني حياة مَن هو اكثر حباً له، وهو المحبوب، وأهلٌ للحب، وعابدٌ لخالقه فطرةً؟ ويُفني كذلك لب الحياة وجوهرها وهو الروح، بالموت الأبدي والاعدام النهائي!! ويولّد جفوة بينه وبين محبيه ويؤلمهم أشد الايلام! فيجعل سر رحمته ونور محبته معرّضاً للانكار! حاشَ لله ألف مرة حاش للّه... فالجمال المطلق الذي زيّن بتجليه هذا الكون وجمّله، والرحمة المطلقة التي أبهجت المخلوقات قاطبة وزيّنتها، لاشك انهما منزّهتان ومقدستان بلا نهاية ولا حد عن هذه القساوة وعن هذا القبح المطلق والظلم المطلق.

النتيجة :

ما دامت في الدنيا حياة، فلابد ان الذين يفهمون سر الحياة من البشر، ولا يسيئون استعمال حياتهم، يكونون اهلاً لحياة باقية، في دار باقية وفي جنة باقية... آمنا.

☆☆☆

ثم، ان تلألؤ المواد اللماعة على سطح الارض، وتلمّع الفقاعات والحباب والزبد على سطح البحر، ثم انطفاء ذلك التلألؤ والبريق بزوال الفقاعات ولمعان التي تعقبها كأنها مرايا لشُميسات خيالية يظهر لنا بداهة ان تلك اللمعات ما هي الاّ تجلي انعكاس شمسٍ واحدة عالية. وتذكر بمختلف الالسنة وجود الشمس، وتشير اليها بأصابع من نور.. وكذلك الامر في تلألؤ ذوي الحياة على سطح الارض وفي البحر، بالقدرة الإلهية وبتجلّي اسم «المحيي» للحي القيوم جلّ جلاله، واختفائها وراء ستار الغيب لفسح المجال للذي يخلفها ـ بعد أن ردّدت «يا حي» ـ ما هي الاّ شهادات واشارات للحياة السرمدية ولوجوب وجود الحي القيوم سبحانه وتعالى.

وكذا، فان جميع الدلائل التي تشهد على العلم الإلهي الذي تُشاهَد آثاره من تنظيم الموجودات، وجميع البراهين التي تثبت

القدرة المتصرفة في الكون، وجميع الحجج التي تثبت الارادة والمشيئة المهيمنة على ادارة الكون وتنظيمه، وجميع العلامات والمعجزات التي تثبت الرسالات التي هي مدار الكلام الرباني والوحي الإلهي.. جميع هذه الدلائل التي تشهد وتدلّ على الصفات الإلهية السبع الجليلة، تدل وتشهد أيضاً بالاتفاق على حياة «الحي القيوم» سبحانه؛ لأنه لو وجدت الرؤية في شئ فلابد أن له حياة أيضاً، ولو كان له سمع فذلك علامة الحياة، ولو وجد الكلام فهو اشارة الى وجود الحياة، ولو كان هناك الاختيار والارادة فتلك مظاهر الحياة.. وهكذا فان جميع دلائل الصفات الجليلة التي تشاهد آثارها ويُعلم بداهة وجودها الحقيقي، أمثال القدرة المطلقة، والارادة الشاملة، والعلم المحيط، تدل على حياة «الحي القيوم» ووجوب وجوده، وتشهد على حياته السرمدية التي نوّرت بشعاعٍ منها جميعَ الكون وأحيَت بتجلٍ منها الدار الآخرة كلها بذراتها معاً..

☆☆☆

والحياة كذلك تنظر وتدل على الركن الايماني (**الايمان بالملائكة**) وتثبته رمزاً.

اذ ما دامت الحياة هي أهم نتيجة للكون، وان ذوي الحياة لنفاستهم هم اكثر انتشاراً وتكاثراً، وهم الذين يتتابعون الى دار ضيافة الارض قافلة إثر قافلة، فتعمّر بهم وتبتهج. وما دامت الكرة الأرضية هي محط هذا السيل من ذوي الحياة، فتملأ وتخلى بحكمة التجديد والتكاثر باستمرار، ويُخلق في أخس الاشياء والعفونات ذوو حياة بغزارة، حتى اصبحت الكرة الأرضية معرضاً عاماً للاحياء.. وما دام يُخلق بكثرة هائلة على الأرض أصفى خلاصة لترشح الحياة وهو الشعور والعقل والروح اللطيفة ذات الجوهر الثابت، فكأن الأرض تحيا وتتجمل بالحياة والعقل والشعور والارواح.. فلا يمكن ان تكون الاجرام السماوية التي هي اكثر لطافة واكثر نوراً وأعظم أهمية من الارض جامدة بلا حياة وبلا شعور. فالذين سيعمّرون السماوات اذن يعمرونها ويبهجون الشموس والنجوم، ويهبون لها الحيوية، ويمثلون نتيجة خلق السماوات وثمرتها، والذين سيتشرفون بالخطابات السبحانية، هم ذوو شعور وذوو حياة من سكان السموات وأهاليها المتلائمين معها حيث يوجدون هناك بسرّ الحياة، وهم الملائكة.

☆☆☆

وكذلك ينظر سر الحياة وماهيتها ويتوجه الى «**الايمان بالرسل**» ويثبته رمزاً.

نعم! ما دام الكون قد خُلق لأجل الحياة، وان الحياة هي اعظم تجل واكمل نقش وأجمل صنعة للحي القيوم جلّ جلاله، وما دامت حياته السرمدية الخالدة تظهر وتكشف عن نفسها بارسال الرسل وانزال الكتب. اذ لو لم تكن هناك «رسل» ولا «كتب» لما عُرفت تلك الحياة الازلية، فكما ان تكلم الفرد يبين حيويته وحياته كذلك الانبياء والرسل عليهم السلام والكتب المنزلة عليهم، يبينون ويدلون على ذلك المتكلم الحي الذي يأمر وينهى بكلماته وخطاباته من وراء الغيب المحجوب وراء ستار الكون. فلابد ان الحياة التي في الكون تدل دلالة قاطعة على «الحي الازلي» سبحانه وتعالى وعلى وجوب وجوده، كما أن شعاعات الحياة الازلية كذلك وتجلياتها تنظر وتتوجه الى مالها ارتباطات وعلاقات معها من اركان الايمان مثل (ارسال الرسل) و (انزال الكتب) وتثبتهما رمزاً، ولا سيما «الرسالة المحمدية» و «الوحي القرآني». اذ يصح القول: انهما ثابتان قاطعان كقطعية ثبوت الحياة، حيث انهما بمثابة روح الحياة وعقلها.

نعم، كما ان الحياة هي خلاصة مترشحة من هذا الكون، والشعور والحس مترشحان من الحياة، فهما خلاصتها، والعقل

مترشح من الشعور والحس، فهو خلاصة الشعور، والروح هي الجوهر الخالص الصافي للحياة، فهي ذاتها الثابتة المستقلة. كذلك الحياة المحمدية ـ المادية والمعنوية ـ مترشحة من الحياة ومن روح الكون، فهي خلاصة خلاصتها والرسالة المحمدية مترشحة من حسّ الكون وشعورِهِ وعقله، فهي اصفى خلاصته، بل ان حياة محمد ﷺ ـ المادية والمعنوية ـ بشهادة آثارها حياة لحياة الكون، والرسالة المحمدية شعور لشعور الكون ونور له. والوحي القرآني بشهادة حقائقه الحيوية روح لحياة الكون وعقل لشعوره.. أجل... أجل... أجل.

فاذا ما فارق نور الرسالة المحمدية الكون وغادره، مات الكون وتوفيت الكائنات، واذا ما غاب القرآن وفارق الكون، جنّ جنونه وفقدت الكرة الأرضية صوابها، وزلزل عقلها، وظلت بلا شعور، واُصطدمت باحدى سيارات الفضاء، وقامت القيامة.

☆☆☆

والحياة كذلك، تنظر الى الركن الايماني «القدر» وتدل عليه وتثبته رمزاً؛ اذ ما دامت الحياة ضياءً لعالم الشهادة وقد استولت عليه وأحاطت به، وهي نتيجة الوجود وغايته، واوسع مرآةٍ لتجليات

خالق الكون، وأتم فهرس ونموذج للفعالية الربانية، حتى كأنها بمثابة نوع من خطتها ومنهجها ـ اذا جاز التشبيه ـ فلابد أن سر الحياة يقتضي ان يكون عالم الغيب أيضاً ـ وهو بمعنى الماضي والمستقبل، أي المخلوقات الماضية والقابلة ـ في نظام وانتظام وان يكون معلوماً ومشهوداً ومتعيناً ومتهيأً لإمتثال الأوامر التكوينية، أي كأنه في حياة معنوية. مثلها كمثل تلك البذرة الاصلية للشجرة وأصولها، والنوى والاثمار التي في منتهاها، التي تتميز بمزايا نوعٍ من الحياة كالشجرة نفسها. بل قد تحمل تلك البذور قوانين حياتية أدق من قوانين حياة الشجرة.

فكما أن البذور والأصول التي خلفها الخريف الماضي، وسيخلفها هذا الربيع تحمل نور الحياة وتسير وفق قوانين حياتية، مثل ما يحمله هذا الربيع من حياة، كذلك شجرة الكائنات، وكلُّ غصنٍ منه وكلُّ فرعٍ، له ماضيه ومستقبله، وله سلسلة مؤلفة من الاطوار والاوضاع، القابلة والماضية، ولكلّ نوعٍ ولكلّ جزء منه وجودٌ متعدد بأطوار مختلفة في العلم الإلهي، مشكلاً بذلك سلسلةَ وجودٍ علمي. والوجود العلمي هذا، الشبيه بالوجود الخارجي هو مظهر لتجلٍ معنوي للحياة العامة، حيث تؤخذ المقدرات الحياتية من تلك الالواح القدرية الحية ذات المغزى العظيم.

نعم، ان امتلاء عالم الارواح ـ وهو نوع من عالم الغيب ـ بالارواح التي هي عين الحياة، ومادتها، وجوهرها وذواتها، يستلزم ان يكون الماضي والمستقبل ـ وهما نوعان من عالم الغيب وقسم ثان منه ـ متجلّية فيهما الحياة.. وكذا فان الانتظام التام والتناسق الكامل في الوجود العلمي الإلهي لأوضاع ذات معانٍ لطيفة لشئ ما ونتائجه واطواره الحيوية ليبيّن ان له اهلية لنوع من الحياة المعنوية.

نعم، ان مثل هذا التجلي، تجلي الحياة الذي هو ضياء شمس الحياة الازلية لن ينحصر في عالم الشهادة هذا فقط، ولا في هذا الزمان الحاضر، ولا في هذا الوجود الخارجي، بل لابد أن لكل عالم من العوالم مظهراً من مظاهر تجلي ذلك الضياء حسب قابليته. فالكون اذن بجميع عوالمه، حيّ ومشع مضيئ بذلك التجلي، والاّ لأصبح كل من العوالم ـ كما تراه عين الضلالة ـ جنازة هائلة مخيفة تحت هذه الدنيا المؤقتة الظاهرة، وعالماً خرباً مظلماً.

وهكذا يُفهم وجهٌ من أوجه الايمان بالقضاء والقدر من سر الحياة ويثبت به ويتضح. أي كما تظهر حيوية عالم الشهادة والموجودات الحاضرة بانتظامها وبنتائجها، كذلك المخلوقات الماضية والآتية التي تعدّ من عالم الغيب لها وجود معنوي، ذو حياة معنى، ولها ثبوت علمي ذو روح بحيث يظهر باسم المقدرات اثر تلك الحياة المعنوية بوساطة لوح القضاء والقدر.

القطعة الثالثة

من الذيل

□ **سؤال يرد بمناسبة مبحث الحشر:**

ان مـا ورد فـي القـرآن الكـريم مـراراً ﴿ **إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً** ﴾ (يس:٢٩) ، ﴿ **وَمَآ أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ** ﴾ (النحل:٧٧) يبين لنا ان الحشر الاعظم سيظهر فجأة الى الوجود، في آن واحد بلا زمان. ولكن العقول الضيقة تطلب امثلة واقعية مشهودة كي تقبل وتذعن لهذا الحدث الخارق جداً والمسألة التي لا مثيل لها.

الجواب: ان في الحشر ثلاث مسائل هي: عودةُ الارواح الى الاجساد، وإحياءُ الاجساد، وانشاء الاجساد وبناؤها.

المسألة الأولى: وهي مجيئ الارواح وعودتها الى اجسادها ومثاله هو:

اجتماع الجنود المنتشرين في فترة الاستراحة والمتفرقين في شتى الجهات على الصوت المدوي للبوق العسكري.

نعم، ان الصور الذي هو بوق اسرافيل عليه السلام، ليس قاصراً عن البوق العسكري كما أن طاعة الارواح التي هي في جهة الأبد وعالم الذرات والتي أجابت بـ ﴿قَالُوا: بَلى﴾ (الاعراف:١٧٢) عندما سمعت نداء ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُم﴾ (الاعراف: ١٧٢) المقبل من اعماق الازل ونظامها يفوق بلاشك أضعاف اضعاف ما عند أفراد الجيش المنظم. وقد اثبتت «الكلمة الثلاثون» ببراهين دامغة ان الارواح ليست وحدها جيش سبحاني بل جميع الذرات ايضاً جنوده المتأهبون للنفير العام.

المسألة الثانية: وهي إحياء الاجساد. ومثاله هو:

مثلما يمكن انارة مئات الآلاف من المصابيح الكهربائية ليلة مهرجان مدينة عظيمة، من مركز واحد في لحظة واحدة، كأنها بلا زمان. كذلك يمكن انارة مئات الملايين من مصابيح الأحياء وبعثها على سطح الارض من مركز واحد. فما دامت الكهرباء وهي مخلوقة من مخلوقات الله سبحانه وتعالى وخادمة إضاءة في دار ضيافته، لها هذه الخصائص والقدرة على القيام بأعمالها حسب ما تتلقاه من تعليمات وتبليغات ونظام من خالقها، فلابد ان الحشر الاعظم سيحدث كلمح البصر ضمن القوانين المنظمة الإلهية التي يمثلها آلاف الخدم المنوّرين كالكهرباء.

المسألة الثالثة: وهي انشاء الاجساد فوراً ومثاله هو:

انشاء جميع الاشجار والاوراق التي يزيد عددها ألف مرة على مجموع البشرية، دفعة واحدة في غضون بضعة ايام في الربيع، وبشكل كامل، وبالهيئة نفسها التي كانت عليها في الربيع السابق.. وكذلك ايجاد جميع أزهار الاشجار وثمارها واوراقها بسرعة خاطفة، كما كانت في الربيع الماضي.. وكذلك تنبّه البُذيرات والنوى والبذور وهي لا تحصى ولا تعد والتي هي منشأ ذلك الربيع في آن واحد معاً وانكشافها واحياؤها.. وكذلك نشور الجثث المنتصبة والهياكل العظمية للاشجار، وامتثالها فوراً لأمر «البعث بعد الموت».. وكذلك احياء افراد انواع الحيوانات الدقيقة وطوائفها التي لا حصر لها بمنتهى الدقة والاتقان.. وكذلك حشر أمم الحشرات ولا سيما الذباب (الماثل امام اعيننا والذي يذكرنا بالوضوء والنظافة لقيامه بتنظيف يديه وعيونه وجناحيه باستمرار وملاطفته وجوهنا) الذي يفوق عدد ما ينشر منه في سنة واحدة عدد بنى آدم جميعهم من لدن آدم عليه السلام.. فحشر هذه الحشرة في كل ربيع مع سائر الحشرات الاخرى واحياؤها في بضعة ايام، لا يعطي مثالاً واحداً بل آلاف الامثلة على انشاء الاجساد البشرية فوراً يوم القيامة.

نعم، لما كانت الدنيا هي دار «الحكمة» والدار الآخرة هي دار «القدرة» فان ايجاد الاشياء في الدنيا صار بشئ من التدريج ومع الزمن. بمقتضى الحكمة الربانية وبموجب اغلب الاسماء الحسنى امثال «الحكيم، المرتّب، المدبر، المربي». اما في الاخرة فان «القدرة» و «الرحمة» تتظاهران اكثر من «الحكمة» فلا حاجة الى المادة والمدة والزمن ولا الى الانتظار. فالاشياء تنشأ هناك نشأة آنية. وما يشير اليه القرآن الكريم بـ ﴿وَمَآ اَمْرُ السَّاعَةِ إلاَّ كَلَمْحِ البَصَرِ اَوْ هُوَ اَقْرَبُ﴾ (النحل:٧٧)، هو ان ما ينشأ هنا من الاشياء في يوم واحد وفي سنة واحدة ينشأ في لمحة واحدة كلمح البصر في الآخرة.

واذا كنت ترغب ان تفهم ان مجئ الحشر أمر قطعي كقطعية مجئ الربيع المقبل وحتميته، فانعم النظر في «الكلمة العاشرة» و «الكلمة التاسعة والعشرين». وان لم تصدق به كمجئ هذا الربيع، فلك ان تحاسبني حساباً عسيراً.

المسألة الرابعة: وهي موت الدنيا وقيام الساعة، ومثاله:

انه لو اصطدم كوكب سيار او مذنّب بأمر رباني بكرتنا الارضية التي هي دار ضيافتنا، لدمّر مأوانا ومسكننا ـ أي الارض ـ كما يدمر في دقيقة واحدة قصر بني في عشر سنوات.

القطعة الرابعة

من الذيل

﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ۞ قُلْ يُحْيِيْهَا الَّذى اَنْشَاَهَآ اَوَّلَ مرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس:٧٨- ٧٩)

لقد جاء في المثال الثالث في الحقيقة التاسعة للكلمة العاشرة، أنه:

اذا قال لك احدهم ان شخصاً عظيماً في الوقت الذي ينشئ امام انظارنا جيشاً ضخماً في يوم واحد يمكنه ان يجمع فرقة كاملة من الجنود المتفرقين للاستراحة بنفخ من بوق، ويجعلهم ينضوون تحت نظام الفرقة، وقلتَ: لا، لا أصدق ذلك، ألا يكون جوابك وانكارك جنوناً وبلاهة؟ كذلك، فان الذي أوجد اجساد الحيوانات كافة، وذوي الحياة كافة من العدم، تلك الاجساد التي هي كالفرق العسكرية للكائنات الشبيهة بالجيش الضخم ونظّم ذراتها ولطائفها ووضعها في موضعها اللائق، بنظام كامل وميزان حكيم بأمر «كن فيكون»، وهو الذي يخلق في كل قرن بل في كل ربيع، مئآت

الآلاف من انواع ذوي الحياة وطوائفها الشبيهة بالجيش.. فهل يمكن ان يُسأل هذا القدير وهذا العليم كيف سيجمع بصيحة واحدة من بوق اسرافيل جميع الذرات الاساس والاجزاء الاصلية من الجنود المتعارفين تحت لواء فرقة الجسد ونظامها؟! وهل يمكن ان يُستبعد هذا منه؟ أوَ ليس استبعاده بلاهة وجنوناً؟

وكذلك فان القرآن الكريم قد يذكر من افعال الله الدنيوية العجيبة والبديعة كي يعدّ الاذهان للتصديق ويحضر القلوب للايمان بافعاله المعجزة في الآخرة. أو أنه يصوّر الافعال الإلهية العجيبة التي ستحدث في المستقبل والآخرة بشكل نقنع ونطمئن اليه بما نشاهده من نظائرها العديدة. فمثلاً.

﴿ اَوَلَمْ يرَ الانْسانُ اَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَاِذَا هُوَ خَصيمٌ مُبينٌ ﴾ الى آخر سورة (يس).. هنا في قضية الحشر، يثبت القرآن الكريم ويسوق البراهين عليها، بسبع أو ثماني صور مختلفة متنوعة.

انه يقدّم النشأة الاولى اولاً، ويعرضها للانظار قائلاً: انكم ترون نشأتكم من النطفة الى العلقة ومن العلقة الى المضغة ومن المضغة الى خلق الانسان، فكيف تنكرون اذن النشأة الاخرى التي هي مثل هذا بل أهون منه؟.. ثم يشير بـ ﴿ اَلّذى جَعَلَ لكم مِنَ الشَّجَرِ

﴿الأخضَرِ نَاراً﴾ (يس:٨٠) الى تلك الآلاء وذلك الاحسان والانعام الذي انعمه الحق سبحانه على الانسان، فالذي ينعم عليكم مثل هذه النعم، لن يترككم سدى ولاعبثاً، لتدخلوا القبر وتناموا دون قيام.. ثم انه يقول رمزاً : انكم ترون احياء واخضرار الاشجار الميتة، فكيف تستبعدون اكتساب العظام الشبيهة بالحطب للحياة ولا تقيسون عليها؟.. ثم هل يمكن ان يعجز من خلق السماوات والارض عن احياء الانسان واماتته وهو ثمرة السموات والارض، وهل يمكن لمن يدير أمر الشجرة ويرعاها ان يهمل ثمرتها ويتركها للآخرين؟! فهل تظنون أن يُترك للعبث «شجرة الخلقة» التي عجنت جميع اجزائها بالحكمة، ويهمل ثمرتها ونتيجتها؟.. وهكذا فان الذي سيحييكم في الحشر هو من بيده مقاليد السموات والارض، وتخضع له الكائنات خضوع الجنود المطيعين لأمره فيسخرهم بأمر «كن فيكون» تسخيراً كاملاً.. ومن عنده خلق الربيع يسير وهيّن كخلق زهرة واحدة، وايجاد جميع الحيوانات سهل على قدرته كايجاد ذبابة واحدة. فلا ولن يُسأل للتعجيز صاحب هذه القدرة: ﴿مَنْ يُحيِ الْعِظَامَ﴾؟

ثم انه بعبارة ﴿فَسُبْحَانَ الَّذى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِ شَيْء﴾(يس:٨٣) يبين انه سبحانه بيده مقاليد كل شئ، وعنده

مفاتيح كل شئ، يقلب الليل والنهار، والشتاء والصيف بكل سهولة ويسر كأنها صفحات كتاب، والدنيا والآخرة هما عنده كمنزلين يغلق هذا ويفتح ذاك. فما دام الأمر هكذا فان نتيجة جميع الدلائل هي: ﴿اَلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ اي انه يحييكم من القبر، ويسوقكم الى الحشر، ويوفي حسابكم عند ديوانه المقدس.

وهكذا ترى ان هذه الآيات قد هيأت الاذهان، واحضرت القلوب لقبول قضية الحشر، بما أظهرت نظائرها بافعال في الدنيا.

هذا وقد يذكر القرآن ايضاً افعالاً اخروية بشكل يحسس ويشير الى نظائرها الدنيوية، ليمنع الانكار والاستبعاد فمثلاً:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم

﴿اِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۞ وَاِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۞ وَاِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۞ وَاِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۞ وَاِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۞ وَاِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۞ وَاِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۞ وَاِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِاَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۞ وَاِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۞ وَاِذَا السَّمَآءُ كُشِطَتْ ۞ وَاِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۞ وَاِذَا الْجَنَّةُ اُزْلِفَتْ ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَآ اَحْضَرَتْ﴾ الى اخر السورة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم

﴿ اذَا السَّمَآءُ انْفَطَرَت۞ وَاذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَت۞ وَاذَا البِحَارُ فُجِّرَت۞ وَاذَا القُبُورُ بُعْثِرَت۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَاَخَّرَتْ ﴾ الى آخر السورة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم

﴿ اذَا السَّمَآءُ انْشَقَّت۞ وَاَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّت۞ وَاذَا الارْضُ مُدَّت۞ وَاَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّت۞ وَاَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ الى آخر السورة

فترى ان هذه السوّر تذكر الانقلابات العظيمة والتصرفات الربانية الهائلة باسلوب يجعل القلب أسير دهشة هائلة يضيق العقل دونها ويبقى في حيرة. ولكن الانسان ما أن يرى نظائرها في الخريف والربيع الاّ ويقبلها بكل سهولة ويسر. ولما كان تفسير السور الثلاث هذه يطول، لذا سنأخذ كلمة واحدة نموذجاً، فمثلاً:

﴿ وَاِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ تفيد هذه الآية: ستنشر في الحشر جميع اعمال الفرد مكتوبة على صحيفة. وحيث ان هذه المسألة عجيبة بذاتها فلا يرى العقل اليها سبيلاً، الاّ أن السورة كما تشير الى

الحشر الربيعي وكما ان للنقاط الاخرى نظائرها وأمثلتها كذلك نظير نشر الصحف ومثالها واضح جلي. فلكل ثمر ولكل عشب ولكل شجر، أعمال وله أفعال وله وظائف وله عبودية وتسبيحات بالشكل الذي تظهر به الاسماء الإلهية الحسنى، فجميع هذه الاعمال مندرجة مع تاريخ حياته في بذوره ونواه كلها. وستظهر جميعها في ربيع آخر ومكان آخر. أي انه كما يذكر بفصاحة بالغة أعمال أمهاته وأصوله بالصورة والشكل الظاهر، فانه ينشر كذلك صحائف أعماله بنشر الاغصان وتفتح الاوراق والاثمار.

نعم، ان الذي يفعل هذا أمام أعيننا بكل حكمة وحفظ وتدبير وتربية ولطف هو الذي يقول ﴿ **وَاِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ** ﴾.

وهكذا قس النقاط الاخرى على هذا المنوال. وان كانت لديك قوة استنباط فاستنبط.

ولاجل مساعدتك ومعاونتك سنذكر ﴿ **اذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ** ﴾ ايضاً. فان لفظ «كُوِّرَتْ» الذي يرد في هذا الكلام هو بمعنى: لُفّتْ وجُمعتْ، فهو مثال رائع ساطع فوق أنه يومئ الى نظيره ومثيله في الدنيا:

اولاً: ان الله سبحانه وتعالى قد رفع ستائر العدم والاثير

والسماء، عن جوهرة الشمس التي تضئ الدنيا كالمصباح، فأخرجها من خزينة رحمته واظهرها الى الدنيا. وسيلفّ تلك الجوهرة بأغلفتها عندما تنتهي هذه الدنيا وتنسد أبوابها.

ثانياً: ان الشمس موظفة ومأمورة بنشر غلالات الضوء في الاسحار ولفّها في الأماسي، وهكذا يتناوب الليل والنهار عل هامة الارض، وهي تجمع متاعها مقللة من تعاملها، أو قد يكون القمر - الى حدٍ ما - نقابا لأخذها وعطائها ذلك. أي كما ان هذه الموظفة تجمع متاعها وتطوي دفاتر اعمالها بهذه الاسباب فلابد من أن يأتي يوم تعفى من مهامها، وتفصل من وظيفتها، حتى ان لم يكن هناك سبب للاعفاء والعزل. ولعلّ توسع ما يشاهده الفلكيون على وجهها من البقعتين الصغيرتين الآن اللتين تتوسعان وتتضخمان رويداً رويداً، تسترجع الشمس - بهذا التوسع - وبأمر رباني ما لفّته ونشرته على رأس الارض باذن إلهي من الضوء، فتلف به نفسها. فيقول ربّ العزة: الى هنا انتهت مهمتك مع الارض، فهيّا الى جهنم لتحرقي الذين عبدوك وأهانوا موظفة مسخرة مثلك وحقروها متهمين اياها بالخيانة وعدم الوفاء.

بهذا تقرأ الشمسُ الامرَ الرباني ﴿اذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ على وجهها المبقع.

القطعة الخامسة

من الذيل

ان اخبار مائة واربعة وعشرين ألفاً من المصطفين الاخيار وهم الانبياء والمرسلون(١) عليهم الصلاة والسلام ـ كما نص عليه الحديث ـ اخباراً بالاجماع والتواتر مستندين الى الشهود عند بعضهم والى حق اليقين عند آخرين، عن وجود الدار الآخرة، واعلانهم بالاجماع ان الناس سيساقون اليها، وان الخالق سبحانه وتعالى سيأتي بالدار الآخرة بلا ريب، مثلما وعد بذلك وعداً قاطعاً.

وان تصديق مائة واربعة وعشرين مليوناً من الأولياء كشفاً وشهوداً ما أخبر به هؤلاء الأنبياء عليهم السلام، وشهادتهم على وجود الآخرة بعلم اليقين دليل قاطع وايّ دليل على وجود الآخرة..

وكذا، فان تجلّيات جميع الأسماء الحسنى لخالق الكون المتجلّية في ارجاء العالم كله، تقتضي بالبداهة وجود عالم آخر خالد، وتدل دلالة واضحة على وجود الآخرة.

---

(١) قال ابو ذر (قلت: يا رسول الله كم وفاء عدة الانبياء؟ قال « مائة الف واربعة وعشرون الفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً) رواه الامام احمد. (مشكاة المصابيح ت ٥٧٣٧) ـ المترجم.

وكذا القدرة الإلـهية وحكمتهـا المطلقة، التي لا اسراف فيها ولا عبث، والتي تحيي جنائز الأشجـار الميّتة وهيـاكلها المنتـصبة، تحييـها وهي لا تعـد ولا تحـصى على سطح الأرض في كل ربيع، وفي كل سنة، بأمـر «كن فيكون» وتجـعلها علامـة على «البعث بـعد الموت» فتـحشـر ثلاثـمـائة ألف نوع من طوائف النبـاتات وأمم الحيـوانات وتنشـرها، مظهـرةً بذلك مئـات الالوف من نماذج الحشـر والنشـور ودلائل وجود الآخرة.

وكـذا الرحـمـة الواسـعـة الـتي تديم حـيـاة جـمـيع ذوي الأرواح المحتاجـة الى الرزق، وتعيّشـها بكمـال الرأفـة عيـشة خـارقة للغـاية. والعنـاية الدائمــة التـي تظهـر انواع الزينـة والمحـاسن بما لا يُعـدّ ولا يحصى، في فتـرة قصيرة جداً في كل ربيع. لا شك أنهمـا تستلزمان وجود الآخرة بداهة.

وكـذا، عـشق البـقـاء، والشـوق الى الأبدية وآمـال الـسـرمـدية المغـروزة غرزاً لا انفـصام لهـا في فطرة هذا الانسان الذي هو أكـمل ثمرة لهذا الكون، وأحب مـخلوق الى خالق الكون، وهو أوثق صلة مع موجودات الكون كله، لا شك انه يشير بالبداهة الى وجود عالم باقٍ بعـد هذا العالم الفـاني، والى وجود عـالم الآخرة ودار السـعادة الأبدية.

فجميع هذه الدلائل تثبت بقطعية تامة ـ الى حدّ يستلزم القبول ـ وجود الآخرة بمثل بداهة وجود الدنيا. (١)

فما دام أهم درس يلقننا القرآن ايّاه هو «الأيمان بالآخرة» وهذا الدرس رصين ومتين الى هذه الدرجة، وفي ذلك الايمان نور باهر ورجاء شديد وسلوان عظيم ما لو اجتمعت مائة الف شيخوخة في شخص واحد لكفاها ذلك النور، وذلك الرجاء، ذلك السلوان النابع من هذا الايمان؛ لذا علينا نحن الشيوخ ان نفرح بشيخوختنا ونبتهج قائلين:

«الحمد لله على كمال الايمان».

---

(١) ان مدى السهولة في إخبار «الامر الثبوتي» ومدى الصعوبة والاشكال في (نفي وانكار) ذلك، يظهر في المثال الاتي:
اذا قال احدهم: ان هناك ـ على سطح الأرض ـ حديقة خارقة جداً ثمارها كعلب الحليب، وأنكر عليه الآخر قوله هذا قائلاً: لا، لا توجد مثل هذه الحديقة. فالاول يستطيع ـ بكل سهولة ـ ان يثبت دعواه. بمجرد اراءة مكان تلك الحديقة او بعض ثمارها. أما الثاني (اي المنكر) فعليه ان يرى ويري جميع انحاء الكرة الارضية لأجل ان يثبت نفيه، وهو عدم وجود مثل هذه الحديقة. وهكذا الامر في الذين يخبرون عن الجنة، فانهم يظهرون مئات الآلاف من ترشحاتها، ويبيّنون ثمارها واثارها، علماً ان شاهدين صادقين منهم كافيان لاثبات دعواهم، بينما المنكرون لوجودها، لا يسعهم اثبات دعواهم الا بعد مشاهدة الكون غير المحدود، والزمن غير المحدود، مع سبر غورها بالبحث والتفتيش، وعند عدم رؤيتهم لها، يمكنهم اثبات دعواهم!
فيا من بلغ به الكبر عتياً ويا ايها الاخوة! اعلموا ما أعظم قوة الايمان بالآخرة وما اشد رصانته! ـ المؤلف.

الفهرس

نعم، كما أن الحياة هى خلاصة مترشحة من هذا الكون، والشعور والحس مترشحان من الحياة، فهما خلاصتها، والعقل مترشح من الشعور والحس ، فهو خلاصة الشعور. والروح هى الجوهر الخالص الصافى للحياة، فهى ذاتها الثابتة المستقلة كذلك الحياة المحمدية المادية والمعنوية مترشحة من روح الكون والرسالة المحمدية كذلك مترشحة من حس الكون وشعوره وعقله.فهو أصفى خلاصته.

بل ان حياة محمد ﷺ - المادية والمعنوية بشهادة آثارها حياة لحياة الكون. والرسالة المحمدية شعور لشعور الكون ونور له. والوحى القرآنى بشهادة حقائقه الحيوية روح لحياة الكون وعقل لشعوره أجل.

فاذا ما فارق نور الرسالة المحمدية ال...
مات الكون وتوفيت الكائنات ، وإذا ما خ...
وفارق الكون لجن جنونه ولفقدت الك...
صوابها ولزال عقلها ولظلت دون شعور و...
با حدى سيارات الفضاء ولقامت القيام...